مقرر

القرآن الكريم والتهذيب والدين

للمدارس الابتدائية

وفقاً لمنهج سنة ١٩٣٠

الجزء الرابع

للسنة الرابعة الابتدائية

تأليف

عبد العليم حسين

المدرس بمدرسة مصر الجديدة الابتدائية للبنين

(المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى نَعْمَائِهِ ، وَالصَّلَاةُ والسَّلَامُ عَلَى أَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ .

وَبَعْدُ فَهَذَا هُوَ الْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ كِتَابِ (مُقَرَّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّهْذِيبِ وَالدِّينِ) لِلْمَدَارِسِ الابْتِدَائِيَّةِ ، وفقًا لِمَنْهَجِ سَنَةِ ١٩٣٠ مِيلَادِيَّة، الَّذِي قَرَّرَتْهُ وِزَارَةُ الْمَعَارِفِ أُقَدِّمُهُ لِلنَّاشِئِينَ مِنْ بَنِى الْإِسْلَامِ، رَاجِيًا لَهُمْ مِنَ اللهِ الِانْتِفَاعَ بِقِرَاءَتِهِ، وَمُسْتَمِدًّا مِنْهُ الْعَوْنَ وَالتَّوْفِيقَ ؟

عبد العليم حسين

الاثنين { ١٤ جمادى الأولى سنة ١٣٤٩
٦ اكتوبر سنة ١٩٣٠

القسم الاول

القرآن الكريم

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۞ إِذْ
يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞
مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۞ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۞ وَنُفِخَ
فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ۞ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ

مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ ، فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ *

---

(١) مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ = مَا يَخْطِرُ بِبَالِهِ وَيُفَكِّرُ فِيهِ

حَبْلُ الْوَرِيدِ = عِرْقٌ فِى جَانِبِ الْعُنُقِ

يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ = يَكْتُبُ الْمَلَكَانِ أَعْمَالَهُ

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ = عَنِ الْيَمِينِ مَلَكٌ ، وَعَنِ الشِّمَالِ مَلَكٌ

عَتِيدٌ = مُسْتَعِدٌّ لِكِتَابَةِ أَفْعَالِهِ

سَكْرَةُ الْمَوْتِ = شِدَّتُهُ وَهَوْلُهُ

تَحِيدُ = تَنْفِرُ عَنْهُ ، وَتَهْرُبُ مِنْهُ

وَنُفِخَ فِى الصُّورِ = قَامَتِ الْقِيَامَةُ

اَلْوَعِيدِ = اَلْحِسَابِ

سَائِقٌ وَشَهِيدٌ = قَائِدٌ يَقُودُهَا ، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ = أَزَلْنَا عَنْكَ غَفْلَتَكَ

حَدِيدٌ = قَوِىٌّ

(مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ هٰذِهِ الْآيَاتُ)

تُرْشِدُ هٰذِهِ الْآيَاتُ إِلَى إِحَاطَةِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ أَعْمَالِنَا ، ظَاهِرِهَا وَخَفِيِّهَا ، حَتَّى بَلَغَ مِنْ دِقَّةِ عِلْمِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْخَوَاطِرَ الَّتِى تَخْطِرُ بِبَالِنَا ، وَالْأَفْكَارَ الَّتِى تَجُولُ بِنُفُوسِنَا ، لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنَّا ، كَقُرْبِ الْوَرِيدِ مِنْ عُنُقِنَا ، وَعَالِمٌ بِأَفْعَالِنَا ، وَقَدْ وَكَلَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ ، أَحَدُهُمَا عَنْ يَمِينِهِ ،

يَكْتُبُ حَسَنَاتِهِ ، وَالآخَرَ عَنْ شِمَالِهِ ، يَكْتُبُ سَيِّئَاتِهِ ، فَمَا فَعَلَ الإِنْسَانُ فِعْلاً ، أَوْ نَطَقَ بِكَلِمَةٍ ، إِلاَّ قَيَّدَهَا أَحَدُ الْمَلَكَيْنِ ، وَإِذَا مَا انْتَهَتْ أَعْمَارُنَا ، جَاءَنَا الْمَوْتُ بِهَوْلِهِ وَشِدَّتِهِ ، وَقَدْ كُنَّا نَنْفِرُ مِنْهُ ، وَنَمِيلُ عَنْهُ ، ثُمَّ نُقْبَرُ إِلَى أَنْ يَأْذَنَ اللهُ بِقِيَامِنَا مِنْ قُبُورِنَا لِيُحَاسِبَنَا عَلَى أَعْمَالِنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ، فَيَقُومُ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ قَبْرِهِ ، وَمَعَهُ مَلَكٌ يَسُوقُهُ إِلَى الْمَوْقِفِ الْمُعَدِّ لَهُ ، وَمَلَكٌ يَشْهَدُ عَلَيْهِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَنَبَّهُ الإِنْسَانُ وَتَزُولُ عَنْهُ غَفْلَتُهُ ، وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، فَيَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ مُفَتَّحَةً لَهُمْ ، وَيَحْزَنُ الْكَافِرُونَ وَيَقُولُونَ يَالَيْتَنَا كُنَّا تُرَابًا ، لِأَنَّهُمْ يُسَاقُونَ إِلَى جَهَنَّمَ سَوْقَ الْأَنْعَامِ ، وَكُلَّمَا قَالَ اللهُ لَهَا هَلِ امْتَلَأْتِ ؟ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟

(٢) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ
يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ ، وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ،
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ
وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ، أُولَئِكَ

لَهُمْ عُقْبَى الدَّار * جَنَّاتُ عَدْن يَدْخُلُونَهَا، وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ، وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ *

---

(٣) مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ = هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

أُولُوا الْأَلْبَابِ = أَصْحَابُ الْعُقُولِ الْمُفَكِّرَةِ

الْمِيثَاقُ = الْعَهْدُ

وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ = يُقَابِلُونَ الْمُسِيءَ بِالْعَفْوِ عَنْهُ وَالْأِحْسَانِ إِلَيْهِ

عُقْبَى الدَّارِ = الْجَنَّةُ

جَنَّاتُ عَدْنٍ = مَكَانُ إِقَامَةٍ وَاسْتِمْرَارٍ

(مَا تُفِيدُهُ هَذِهِ الْآيَاتُ)

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُمَيِّزُ اللهُ بَيْنَ مَنْ عَرَفَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ حَقٌّ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَاتَّبَعَهُ ، وَبَيْنَ مَنْ جَهِلَ ذَلِكَ وَأَنْكَرَهُ ، فَالَّذِي عَرَفَ وَاتَّبَعَ مُبْصِرٌ ، وَالَّذِي جَهِلَ وَأَنْكَرَ أَعْمَى ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُ ذَلِكَ الْحَقَّ وَيَتَّبِعُهُ أَصْحَابُ الْعُقُولِ الْمُفَكِّرَةِ ، الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَى آثَارِ اللهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، وَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى وُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ ، فَيَعْتَرِفُونَ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَقُومُونَ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَيُحْسِنُونَ مُعَامَلَةَ النَّاسِ ، وَيُرَاعُونَ جَمِيعَ حُقُوقِهِمْ ، وَيُكْرِمُونَ آبَاءَهُمْ وَيَخْدُمُونَهُمْ ، وَيُسَاعِدُونَ أَقَارِبَهُمْ وَذَوِي الْحَاجَةِ مِنَ الْفُقَرَاءِ ، وَيَخَافُونَ رَبَّهُمْ خَوْفَ جَلَالٍ وَهَيْبَةٍ ، فَلَا يَعْصُونَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ ، وَيَهَابُونَ شِدَّةَ الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،

فَيُحَاسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَعَلُوا ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا زَادُوا ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا تَابُوا وَاسْتَغْفَرُوا ، وَيَصْبِرُونَ عَلَى الْمَصَائِبِ وَالْمَشَاقِّ ، طَلَبًا لِرِضَاءِ اللهِ ، وَيُؤَدُّونَ الصَّلَاةَ كَامِلَةً فِي أَوْقَاتِهَا ، وَيُخْرِجُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ ، وَيَتَصَدَّقُونَ عَلَى الْمُحْتَاجِينَ سِرًّا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُمُ النَّاسُ ، وَيُقَابِلُونَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِم بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَنْ سَبَّهُمْ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ ، كُلُّ ذَلِكَ يَفْعَلُهُ أَصْحَابُ الْعُقُولِ الْمُفَكِّرَةِ ، الْفَائِزُونَ فِي الْآخِرَةِ ، الَّذِينَ أَعَدَّ اللهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يَدْخُلُونَهَا وَيَدْخُلُهَا مَعَهُمْ الصَّالِحُونَ مِنَ آبَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، فَإِذَا مَا دَخَلُوهَا دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَبْوَابِهَا ، يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِمْ ، وَيُهَنِّئُونَهُمْ بِدُخُولِهَا ، وَبِدَوَامِ الْعِزِّ وَالسَّلَامَةِ فِيهَا ، جَزَاءً لَهُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ وَإِحْسَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا

(٣) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا،
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ
إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا *

....

(٣) عِبَادُ الرَّحْمٰنِ = هُمُ الْمُسْلِمُونَ الصَّالِحُونَ

هَوْناً = بِسَكِينَةٍ وَتَوَاضُعٍ

الْجَاهِلُونَ = السُّفَهَاءُ وَالْأَشْرَارُ

قَالُوا سَلَاماً = لَمْ يُجَاوِبُوهُمْ بِكَلَامٍ مِثْلِ كَلَامِهِمْ

سُجَّداً وَقِيَاماً = يُحْيُونَ اللَّيْلَ بِالصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ

اصْرِفْ = أَبْعِدْ

غَرَاماً = شَرًّا وَهَلَاكاً

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَاماً = إِنَّهَا شَرُّ مَكَانٍ فِي الْآخِرَةِ

لَمْ يُسْرِفُوا = لَمْ يُبَذِّرُوا وَيُجَاوِزُوا حَدَّ الِاعْتِدَالِ

وَلَمْ يَقْتُرُوا = لَمْ يَبْخَلُوا

قَوَاماً = وَسَطاً

(مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ)

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يُبَيِّنُ اللهُ أَخْلَاقَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ الْمُخْلِصِينَ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِمْ أَنَّهُمْ يَمْشُونَ عَلَى

الْأَرْضِ مُتَوَاضِعِينَ، لَا يُسْرِعُونَ وَلَا يُبْطِئُونَ، وَلَا يَضْرِبُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كِبْرًا وَعُجْباً، وَإِذَا شَتَمَهُمْ سَفِيهٌ أَوْ شِرِّيرٌ قَالُوا لَهُ: سَامَحَكَ اللّٰهُ:، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ كَلَامَهُ، فَإِذَا مَا جَاءَ اللَّيْلُ قَامُوا ثُلُثَهُ أَوْ نِصْفَهُ يُصَلُّونَ لِرَبِّهِمْ وَيَتْلُونَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، وَيَدْعُونَ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبْعِدَ عَنْهُمْ عَذَابَ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهَا شَرُّ مَكَانٍ أُعِدَّ لِلْعَاصِينَ وَالْكَافِرِينَ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ الِاقْتِصَادُ فِي أَمْوَالِهِمْ، فَلَا يُسْرِفُونَ، وَلَا يُجَاوِزُونَ الْحَدَّ فِي الصَّرْفِ، لِئَلَّا تَضِيعَ أَمْوَالُهُمْ وَيُصْبِحُوا فُقَرَاءَ، وَلَا يَبْخَلُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، بَلْ يُنْفِقُونَ عَلَى قَدْرِ ثَرْوَتِهِمْ، وَيُعْطُونَ الْفُقَرَاءَ مِمَّا أَعْطَاهُمُ اللّٰهُ

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ النَّجِيبُ أَنْ تَتَخَلَّقَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا عِبَادُ اللّٰهِ الصَّالِحُونَ، لِتَضْمَنَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا، وَتَنَالَ رِضَاءَ اللّٰهِ وَجَنَّتَهُ فِي الْآخِرَةِ.

(٤) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، وَاخْشَوْا يَوْماً
لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ
عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ * إِنَّ اللهَ
عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِى
الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ،
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ، إِنَّ اللهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ .

---

(٤) وَاخْشَوْا يَوْماً = أَىْ خَافُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ

لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ = لَا يُغْنِى وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ شَيْئاً

الْغَرُورُ = الشَّيْطَانُ

عِلْمُ السَّاعَةِ = وَقْتُ مَجِىءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

مَا فِى الْأَرْحَامِ = مَا فِى بُطُونِ الْأُمَّهَاتِ ذَكَراً أَوْ أُنْثَى

مَاذَا تَكْسِبُ غَداً = مَا تَفْعَلُ فِى الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ

(مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَاتَانِ الْآيَتَانِ)

فِى الْآيَةِ الْأُولَى يُخَوِّفُنَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، فَلَا يَنْفَعُ وَالِدٌ وَلَدَهُ ، وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ شَيْئاً مِنَ الْعَذَابِ ، كَمَا لَا يَنْفَعُ ابْنٌ أَبَاهُ وَلَا يَرُدُّ عَنْهُ شَيْئاً مِنْ غَضَبِ اللهِ ، بَلْ كُلُّ نَفْسٍ

تَطْلُبُ النَّجاةَ ، وَلاَ تُفَكِّرُ فِي غَيْرِها ، وَيحَذِّرُنا أَنْ نَنسى ذَلِكَ الْيَوْمَ ، وَلا نَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وَأَنْ تُغْرِيَنا الدُّنْيا بِمَتاعِها الزَّائِلِ ، وَيُضِلَّنَا الشَّيْطَانُ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ فِيهَا ، وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ يَدُلُّنَا اللهُ عَلَى مِقْدارِ عِلْمِهِ ، وَإِحاطَتِهِ لِجميعِ الْكائِناتِ ، وَيُبَيِّنُ مَفاتِحَ الْغَيْبِ الَّتِي لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ ، فَأَوَّلُها عِلْمُ قِيامِ السَّاعَةِ ، وَثانِيها وَقْتُ نُزُولِ الْمَطَرِ ، وَثالِثُها عِلْمُ مَا فِي بُطُونِ الْأُمَّهاتِ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى ، وَرابِعُها مَعْرِفَةُ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَعِلْمُ ما يَفْعَلُ النَّاسُ فِيهِ ، وَخامِسُها عِلْمُ أَعْمارِ النَّاسِ ، وَمَعْرِفَةُ الْبِقاعِ الَّتِي يَمُوتُونَ فِيها

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ أَنْ تُراقِبَ رَبَّكَ ، وَتَعْلَمَ أَنَّهُ مُحِيطٌ بِكَ ، مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ ، يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَلاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماءِ

(٥) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ، إِنِ اتَّقَيْتُنَّ
فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ، فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ،
وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۞ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ، وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَآتِينَ الزَّكَاةَ، وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۞

---

(٥) لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ = لَيْسَ بَيْنَ النِّسَاءِ أَشْرَفُ مِنْكُنَّ وَأَفْضَلُ، لِأَنَّكُنَّ أَزْوَاجُ رَسُولِ اللهِ

إِنِ اتَّقَيْتُنَّ = إِنْ أَرَدْتُنَّ التَّقْوَى، وَخِفْتُنَّ سُخْطَ اللهِ وَرَسُولِهِ

فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ = لَا يَكُنْ كَلَامُكُنَّ لَيِّنًا، وَلَا تُرَقِّقْنَهُ إِذَا خَاطَبْتُنَّ الْأَجَانِبَ

فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ = فِي أَخْلَاقِهِ دَنَاءَةٌ وَفُجُورٌ

وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا = تَكَلَّمْنَ مَعَ الْأَجَانِبِ بِجِدٍّ وَخُشُونَةٍ مِنْ غَيْرِ تَمْرِيضٍ وَلَا تَخْنِيثٍ

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ = الْزَمْنَهَا وَلَا تَخْرُجْنَ مِنْهَا إِلَّا لِضَرُورَةٍ

وَلَا تَبَرَّجْنَ = وَلَا تَسِرْنَ فِي الشَّوَارِعِ سَافِرَاتٍ مُتَبَخْتِرَاتٍ تَتَمَايَلْنَ فِي مِشْيَتِكُنَّ.

تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى = سَيْرَ النِّسَاءِ الْفَاجِرَاتِ الْكَافِرَاتِ بِالْإِسْلَامِ

الرِّجْسَ = الذَّنْبَ

(مَا تُفِيدُهُ هَذِهِ الآيَاتُ)

فِي هَذِهِ الآيَاتِ يُبَيِّنُ اللهُ شَرَفَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَيُفَضِّلُهُنَّ عَلَى سَائِرِ النِّسَاءِ ، كَمَا فَضَّلَ مُحَمَّدًا عَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ ، وَيَأْمُرُهُنَّ بِمَا يَزِيدُهُنَّ رِفْعَةً وَشَرَفًا ، وَمِمَّا أَمَرَهُنَّ اللهُ بِهِ ، أَلاَّ يُرَقِّقْنَ كَلاَمَهُنَّ إِذَا خَاطَبْنَ الأَجَانِبَ ، وَلاَ يَجْعَلْنَهُ لَيِّنًا مُخَنَّثًا (كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ نِسَاءِ مِصْرَ الآنَ) لِئَلاَّ يَطْمَعَ فِيهِنَّ الأَشْرَارُ وَذَوُو الأَخْلاَقِ الْفَاسِدَةِ ، بَلْ يُخَاطِبْنَ غَيْرَهُنَّ مِنَ الرِّجَالِ بِشَجَاعَةٍ وَجِدٍّ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ ، كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَلْزَمْنَ بُيُوتَهُنَّ ، وَلاَ يَخْرُجْنَ مِنْهَا إِلاَّ لِأَمْرٍ مُهِمٍّ ، فَإِذَا خَرَجْنَ وَسِرْنَ فِي الشَّوَارِعِ ، فَلاَ يَسِرْنَ سَافِرَاتٍ مُتَبَخْتِرَاتٍ ، مُتَمَايِلاَتٍ فِي مِشْيَتِهِنَّ ، وَلاَ يَخْرُجْنَ بِلِبَاسٍ غَيْرِ مُحْتَشِمٍ ، كَمَا تَفْعَلُ النِّسَاءُ الْفَاجِرَاتُ الْكَافِرَاتُ ،

وَيفعلُ بعضُ نِساءِ مِصرَ الْمُسْلِمَاتِ ، اللاَّئى يَزْعُمن أَنهُنَّ مُهذَّبَاتٌ جدِيدَاتٌ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يلفِتُ الْأَنْظَارَ إِليْهِنَّ ، وَيغْرِى فَاسِدِى الْأَخْلَاقِ بِاتِّبَاعِهِنَّ وَمُضَايَقتِهِنَّ فِى الشَّوَارِعِ ، كَمَا أَمرَهُنَّ اللهُ بِتَأْدِيَةِ الصَّلَاةِ كَامِلةً فِى أَوْقَاتِهَا ، وَإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ بِأَنْوَاعِهَا ، وَبطَاعَةِ اللهِ فِيمَا أَمَرَهُنَّ بِهِ ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ بِاتِّبَاعِ قوْلِهِ ، وَالْعملِ على رِضَاهُ ، وَقَدْ طَلَبَ اللهُ مِنْهُنَّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُبْعِدَ عَنْهُنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي تُوجِبُ الْعِقَابَ فِى الْآخِرَةِ ، وَيُلْبِسَهُنَّ ثَوْبَ الطَّهَارَةِ وَالشَّرَفِ ، وَلِأَنَّهُ يغَارُ عَلَى أَزْوَاجِ نَبِيِّهِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُنَّ أَنْ يَكُنَّ كَامِلَاتٍ عَملاً وَفِعلاً .

فَيَاحَبَّذَا لَوْ اتَّبَعَ الْمَصْرِيَّاتُ الْمُسْلِمَاتُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ، وَأَمرَهُنَّ بِهِ أَيْضاً ، لِسَلِمْنَ مِنْ مُضَايقَةِ الْأَشْرَارِ لَهُنَّ فِى الطُّرُقَاتِ ، وَلَقَلَّتِ الْمَفَاسِدُ وَالشُّرُورُ .

(٦) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ
فَضْلِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ
آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً، وَيُنَزِّلُ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ

السَّماءُ والأَرْضُ بأمره، ثمَّ إذا دعاكُمْ دعوةً من الأرْضِ إذا أنتم تخرجُون ❊ ولهُ من في السَّمواتِ والأرْضِ، كلٌّ له قانتُون ❊ وهُو الَّذي يبدأُ الخلق ثمَّ يُعيدُهُ، وهُو أهونُ عليه، ولهُ المثلُ الأعلى في السَّمواتِ والأرْضِ، وهُو العزيزُ الحكيمُ ❊

---

(٦) وَمِنْ آيَاتِهِ = مِنْ علامَاتِ قُدْرَةِ اللهِ وَوُجُودِهِ

إخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ = تَعَدُّدُ لُغَاتِكُمْ

لِلْعَالِمِينَ = لِلْمُفَكِّرِينَ

يَسْمَعُونَ = يَفْهَمُونَ وَيَتَدَبَّرُونَ

خَوْفاً = لِتَخَافُوا مِنَ الصَّوَاعِقِ

وَطمعاً = وَلِتَطْمَعُوا فِى الْغَيْثِ

فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ = يُزَيِّنُهَا بِالنَّبَاتِ

بَعدَ مَوْتِهَا = بَعْدَ أَنْ كانَتْ يَابسَةً قَاحِلَةً

يَعْقِلُونَ = يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ وَلاَ يُقَلِّدُونَ

أَنْ تَقُومَ السَّماءُ = أَنْ تُرْفعَ مِنْ غَيْرِ أَعْمِدَةٍ نَرَاهَا

وَالْأَرْضُ = وَأَنْ تَدُورَ الْأَرْضُ حَوْلَ الشَّمْسِ

بِأَمْرِهِ = بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ

إِذَا دَعَاكُمْ = نَادَاكُمْ وَطَلَبَكُمْ لِلْحِسَابِ

مِنَ الْأَرْضِ = مِنَ الْقُبُورِ

وَلَهُ مَنْ فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ = أَىْ خَلَقَ مَنْ فِيهِمَا
فَهُوَ مِلْكٌ لَهُ

قَانِتُونَ = خَاضِعُونَ لِقُدْرَتِهِ وَأَفعَالِهِ

يَبْدَأُ الْخَلْقَ = يُحْيِينَا بَعْدَ مَوْتِنَا

وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ = أَيسَرُ وَأَسْهَلُ

وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى = وَلِلّٰهِ الْكَمَالُ وَالْقُدْرَةُ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمُ = الْقَادِرُ الْمُدَبِّرُ

(مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ)

تُرْشِدُ هَذِهِ الْآيَاتُ إِلَى كَمَالِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى ، فَهُوَ الَّذِي أَوْجَدَ السَّمٰوَاتِ وَمَا فِيهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ ، وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَجَعَلَ النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ فِي اللُّغَاتِ فَمِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ وَالْإِنْجِلِيزِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمِنْهُمْ الْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ وَغَيْرُهُمَا ، حَسَنُ الْخِلْقَةِ وَذَمِيمُهَا ، طَوِيلُ الْقَامَةِ وَقَصِيرُهَا ، وَجَعَلَ ذَلِكَ عَلَامَةً ، يَسْتَدِلُّ بِهَا الْمُفَكِّرُونَ عَلَى وُجُودِهِ وَقُدْرَتِهِ ، كَمَا خَلَقَ اللَّيْلَ لِنَسْتَرِيحَ فِيهِ مِنْ عَنَاءِ الْأَعْمَالِ ، وَأَوْجَدَ النَّهَارَ لِنَسْعَى فِيهِ إِلَى طَلَبِ الرِّزْقِ،

وجعلهما آيةً لمن يتأمَّلُ في خلق الله ، ويتّبعُ الرُّسُلَ ، كما أرانا البرْقَ في السَّماء ، وجعله عذاباً تنزلُ منهُ الصَّواعِقُ فيُهلكُ بها من يشاءُ من الكافرينَ ، ورحمةً تُبشِّرُ بنزُول المطرِ فيُحيي به الأرضَ بعدَ موتها ، ويجعلُها جنَّةً خضراءَ ، بعدَ أنْ كانتْ يابسةً جرْداءَ ، فتستدلُّ العُقُولُ على طريق الحقِّ ، خوفاً من عذابِ الله ، الذى أعدَّهُ لمنْ كفرَ ، وطمعاً في ثوابهِ وجنَّته ، كما جعل من دلائل قُدْرتهِ ، رفعَ السَّموات من غيرِ أعمدةٍ نراها ، ودورانَ الأرضِ حولَ الشَّمْسِ وحولَ نفسِها ، وبقاءَهُما على تلكَ الهيئَةِ ، إلى أجلٍ مُسمَّى قدَّرهُ لقيامِهما من أكبرِ الشَّواهدِ على وُجُودِه وحياتِه ، وبعدَ انقضاءِ هذا الأجلِ تقومُ القيامَةُ ، ويدعونا اللهُ من قُبورِنا لنقُومَ للحِسابِ ، فيخضعُ لأمرهِ جميعُ الخلائقِ في السَّمواتِ والأرضِ ، ويُحيينا بعدَ موتِنا ، كما خلقنا أوَّلَ مرَّةٍ ،

بَلْ ذَلِكَ الْأَحْيَاءِ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ وَأَسْهَلُ . لِأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ ، قَادِرٌ إِذَا قَالَ لِشَيْءٍ كُنْ فَيَكُونُ

---

(٧) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ، وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً * فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ

الْحَقُّ ، وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ❋

---

(٧) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ = ذَلَّتْ وَخَضَعَتْ وُجُوهُ الْكَافِرِينَ وَالْمُجْرِمِينَ

وَقَدْ خَابَ = خَسِرَ وَهَلَكَ

مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا = مَنْ كَفَرَ بِاللهِ ، وَارْتَكَبَ الْمَعَاصِيَ

فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا = فَلَا يَخْشَى مَنْعَ ثَوَابٍ يَسْتَحِقُّهُ

وَلَا هَضْمًا = وَلَا نَقْصًا فِي ثَوَابِهِ

أَنْزَلْنَاهُ = أَيِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

قُرْآنًا عَرَبِيًّا = كَلَامًا فَصِيحًا لِيَفْهَمَهُ الْعَرَبُ

وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ = كَرَّرْنَا فِيهِ التَّحْذِيرَ وَالْعِقَابَ

يَتَّقُونَ = يَخَافُونَ الْكُفْرَ ، وَيَجْتَنِبُونَ الْمَعَاصِيَ

أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا = يَتَّعِظُونَ

الْمَلِكُ الْحَقُّ = الْمُثِيبُ وَالْمُعَذِّبُ بِحَسَبِ الأَعْمَالِ

وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ = لاَ تَقْرَأْ مَعَ جِبْرِيلَ وَهُوَ يُقْرِئُكَ الْقُرْآنَ

(مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ)

يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ أَنَّ الْكُفَّارَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَالْعَاصِينَ وَالْمُذْنِبِينَ، يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذِلاَّءَ كَالأُسَارَى، مُطْرِقِي الرُّؤُوسِ خَجَلاً مِنَ اللهِ، تَعْلُو وُجُوهَهُمُ الصُّفْرَةُ خَوْفًا مِنَ الْعَذَابِ. لأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِهِ، وَعَصَوْا أَوَامِرَهُ، وَظَلَمُوا عِبَادَهُ، أَمَّا مَنْ آمَنَ بِاللهِ، وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً، وَاتَّبَعَ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَلاَ يَخَافُ شَيْئاً، بَلْ يَنَالُ ثَوَابَهُ كَامِلاً غَيْرَ مَنْقُوصٍ، لأَنَّ اللهَ عَادِلٌ لاَ يَظْلِمُ أَحَداً.

وَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَ اللهُ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ، ذَكَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ فَصِيحَةٍ، لِيَفْهَمَهُ مَنْ يَنْطِقُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَسَنَّ فِيهِ مِنَ الْقَوَانِينِ مَا يُنَظِّمُ أَحْوَالَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، إِنِ اتَّبَعُوهَا، وَكَرَّرَ آيَاتِ الْوَعِيدِ وَالْإِنْذَارِ، لِيَرْجِعَ الْكُفَّارُ عَنْ كُفْرِهِمْ، وَيُقْلِعَ الْمُجْرِمُونَ عَنْ إِجْرَامِهِمْ، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ نَافِذُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، مُتَصَرِّفٌ فِي جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَسَيَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ

وَأَمَّا الْآيَةُ الْأَخِيرَةُ فَإِنَّهَا إِرْشَادٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ شِدَّةِ حِرْصِهِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَقْرَأُ مَعَ جِبْرِيلَ كُلَّ كَلِمَةٍ يَنْطِقُ بِهَا، وَلَا يَنْتَظِرُ حَتَّى يُتِمَّ جِبْرِيلُ قِرَاءَتَهُ، فَأَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَتَأَنَّى، لِيَسْمَعَ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ، وَيَفْهَمَ مَعَانِيَهَا، وَبَعْدَ إِتْمَامِ قِرَاءَتِهِ يَقْرَأُ بَعْدَهُ، كَمَا أَمَرَهُ أَنْ يَطْلُبَ

مِنْهُ الزِّيَادَةَ فِي الْعِلْمِ لِأَنَّهَا تُسَاعِدُهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَبَيَانِهِ لِلنَّاسِ.

فَعَلَيْكَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ أَنْ تَتَأَدَّبَ بِأَدَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا تَتَكَلَّمُ فِي أَثْنَاءِ شَرْحِ الْمُدَرِّسِ لِلدَّرْسِ وَلَا تُقَاطِعُهُ بِالسُّؤَالِ، بَلْ انْتَظِرْ حَتَّى يُتِمَّ كَلَامَهُ، ثُمَّ اسْأَلْهُ عَمَّا تُرِيدُ.

---

(٨) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ، أَنْ تَبَرُّوا

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ، وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ، وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * لِلَّذِينَ
يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَإِنْ
فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ
فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *

---

(٧) وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ = لَا تُكْثِرُوا مِنَ الْحَلْفِ بِهِ ، وَلَا تَجْعَلُوا الْقَسَمَ بِاللهِ مَانِعاً مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ
أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ = إِنْ كُنْتُمْ صَالِحِينَ تُعَظِّمُونَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى ، وَتَرْغَبُونَ فِي الرُّجُوعِ إِلَى عَمَلٍ طَيِّبٍ أَقْسَمْتُمْ عَلَى تَرْكِهِ ،
لَا يُؤَاخِذُكُمْ = لَا يُعَاقِبُكُمْ

بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ = بِالْيَمِينِ غَيْرِ الْمَقْصُودَةِ

بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ = بِالْيَمِينِ الْمَقْصُودَةِ ، وَهِيَ الْحَلْفُ عَلَى الْكَذِبِ

يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ = يَحْلِفُونَ عَلَى هَجْرِهِنَّ

تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ = اِنْتِظَارُ مُدَّةٍ قَدْرُهَا أَرْبَعَةُ شُهُورٍ

فَإِنْ فَآءُوا = رَجَعُوا عَنِ الْيَمِينِ فِى خِلَالِ تِلْكَ الْمُدَّةِ ، وَصَالَحُوا أَزْوَاجَهُمْ

فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ = أَىْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ عَمَّنْ رَجَعَ عَنْ يَمِينِهِ ، بَعْدَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ ، مَنْعاً لِلإِضْرَارِ بِالزَّوْجَةِ وَأَوْلَادِهَا .

وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ = أَىْ عَقَدُوا النِّيَّةَ عَلَى مُفَارَقَةِ أَزْوَاجِهِمْ ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى هَجْرِهِنَّ حَتَّى مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الشُّهُورِ .

فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ = أَىْ عَالِمٌ بِمَا جَرَى مِنْهُمْ ، مِنْ إِصْرَارِهِمْ عَلَى طَلَاقِ أَزْوَاجِهِمْ ، وَسَيُحَاسِبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ

(مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْآيَاتُ)

فِى هَذِهِ الْآيَاتِ يُحَذِّرُنَا اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ ، مِنْ أَنْ نَتَّخِذَ اسْمَهُ الْكَرِيمَ سِتَارًا نُخْفِى بِهِ الْحَقَائِقَ ، وَمَانِعًا عَنْ عَمَلِ الْخَيْرِ ، فَنُكْثِرَ مِنَ الْحَلِفِ بِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وَلَا مُنَاسَبَةٍ ، لِأَنَّ فِى كَثْرَةِ الْحَلِفِ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ عَدَمَ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ وَإِجْلَالٍ ، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ سَيُسَامِحُنَا فِى الْيَمِينِ غَيْرِ الْمَقْصُودَةِ الَّتِى لَا نَنْوِيهَا ، بَلْ نَنْطِقُ بِهَا عَفْواً فِى كَلَامِنَا ، كَمَا تَقُولُ عِنْدَ النَّظَرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ مَثَلاً : هَذَا وَاللهِ مَنْظَرٌ جَمِيلٌ . وَسَيُحَاسِبُنَا عَلَى الْيَمِينِ الْمَقْصُودَةِ الَّتِى نَنْوِيهَا ، وَنُرِيدُ بِهَا غَيْرَ الْحَقِّ ، وَنَغُشُّ بِهَا النَّاسَ ، وَلِهَذَا

كانَ مِنْ عَدْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ أَلاَّ يُؤَاخِذَنَا بِقَسَمٍ نَنْطِق بِهِ سَهْواً .

ثُمَّ ذَكَرَ جلَّ جلالُهُ أَنَّ مَنْ يُقْسِمُ عَلى هَجْرِ زَوْجَتِه وَالْبُعْدِ عَنْهَا، وَيحْنَثُ فِي يَمِينِهِ، وَيُصَالِحُ زَوْجَتَهُ قَبْلَ مُضِيِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ عَلَى قَسَمِهِ ، فَإِنَّ اللهَ رَحْمَةً بِزَوْجِهِ وَأَوْلاَدِه سَيَغْفِرُ لَهُ ذَنْبَ هَذَا الْيَمِينِ بَعْدَ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْهُ ، وَأَمَّا مَنْ يُصِرُّ عَلَى قَسَمِهِ ، حَتَّى تَمْضِيَ الشُّهُورُ الْأَرْبَعَةُ ، فَإِنَّ اللهَ سَيُعَاقِبُهُ فِي الدُّنْيَا بِتَطْلِيقِ امْرَأَتِهِ ، وَخَرَابِ بَيْتِهِ ، وَيُؤَاخِذُهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى إِصْرَارِهِ ، وَالْأِضْرَارِ بِزَوْجِهِ وَأَوْلاَدِهِ .

فَاحْذَرْ أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّجِيبُ كَثْرَةَ الْحَلِفِ، لِأَنَّهَا بُرْهَانٌ عَلَى الْكَذِبِ ، وَفِيهَا اسْتِهْتَارٌ بِاسْمِ اللهِ تعالَى ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ قَوْلَ الْحَقِّ وَالصِّدْق ، وَلاَ تُقْسِمْ إِلَّا مُضْطَرًّا ، كَمَا إِذَا دُعِيتَ لِأَدَاءِ الشَّهَادَةِ أَمَامَ الْقَاضِي ، وَلاَ تَكُنْ

كَبَعْضِ التُّجَّارِ يُقْسِمُ مَائَةَ يَمِينٍ بِاللهِ تَعَالَى لِيُوهِمَ النَّاسَ وَيَغُشَّهُمْ فِي الْبَيْعِ

---

(٩) بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ✲ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ✲ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ✲ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ✲ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ✲

....

(٩) وَيْلٌ = هَلَاكٌ وَعَذَابٌ

الْمُطَفِّفُونَ = هُمُ الْمَوْصُوفُونَ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى بَعْدُ

الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ = أَىْ إِذَا كَانَ لَهُمْ عِنْدَ النَّاسِ حَقٌّ أَخَذُوهُ كَامِلاً

وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ = أَىْ وَإِذَا كَانَ لِلنَّاسِ عِنْدَهُمْ حَقٌّ فِى مَكِيلٍ أَوْ مَوْزُونٍ أَعْطَوْهُمْ ذَلِكَ الْحَقَّ مَعَ النَّقْصِ وَالْخَسَارِ

مَبْعُوثُونَ = مُنْشَرُونَ وَرَاجِعُونَ إِلَى اللهِ لِلْحِسَابِ

(مَا تُفِيدُهُ هَذِهِ الْآيَاتُ)

فِى هَذِهِ الْآيَاتِ يَتَوَعَّدُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُلَّ مَنْ يَغُشُّ النَّاسَ بِأَشَدِّ الْعِقَابِ ، وَيُنْذِرُ الْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ إِذَا بَاعُوا ، وَيَزِيدُونَ إِذَا اشْتَرَوْا بِالْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ ، وَيُذَكِّرُهُمْ (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَيَرْجِعُونَ) بِأَنَّهُمْ سَيُنْشَرُونَ وَيُبْعَثُونَ ، وَيُحْشَرُونَ فِى يَوْمٍ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً ، لِيُحَاسِبَهُمُ اللهُ عَلَى اخْتِلَاسِ أَمْوَالِ

النَّاسِ بِهَذِهِ الْوَسِيلَةِ ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقِفُونَ لِلْعَرْضِ عَلَى اللهِ ، وَيَطُولُ بِهِمُ الْمَوْقِفُ ، وَيَمْثُلُونَ بَيْنَ يَدَىْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَخَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، فَيُحَاسَبُونَ عَلَى مَا أَكَلُوهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ حِسَاباً عَسِيراً .

فَيَا أَيُّهَا التِّلْمِيذُ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّاسِ مِنَ الْمُعَامَلَاتِ، فَإِذَا كُنْتَ تَاجِراً ، أَوْ كَانَ لَكَ عِنْدَ أَحَدٍ دَيْنٌ ، أَوْ كَانَ لِأَحَدٍ عَلَيْكَ دَيْنٌ ، فَخُذْ حَقَّكَ ، وَأَعْطِ النَّاسَ حُقُوقَهُمْ ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ وَلَا تَنْقُصْ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ عَائِدٌ إِلَى رَبِّكَ فَمُلَاقِيهِ ، وَسَيُحَاسِبُكَ عَلَى مَا عَمِلْتَ فِي دُنْيَاكَ ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً دَخَلْتَ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَمَصِيرُكَ إِلَى النَّارِ .

(١٠) بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ، أَلَّا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، وَلَا
تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ،
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَٰلِكُمْ
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا

الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ، وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞

---

(١٠) مِنْ إِمْلَاقٍ = خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ

حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ = حَتَّى يَكْبَرَ وَيَصِيرَ رَجُلًا

بِالْقِسْطِ = بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ

(مَا تُرْشِدُ إِلَيْهِ هذه الآيَاتُ)

فِي هَذِهِ الآيَاتِ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَنَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ، مَا حَرَّمَهُ عَلَيْنَا ، وَوَصَّانَا بِاجْتِنَابِهِ ، وَمَا فَرَضَهُ عَلَيْنَا ، وَأَمَرَنَا بِعَمَلِهِ ، فَنَهَانَا عَنِ الْإِشْرَاكِ بِهِ ، وَالْقَوْلِ بِتَعَدُّدِهِ كَمَا تَقُولُ النَّصَارَى : إِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ اللّٰهِ . وَأَمَرَنَا بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِمَا وَخِدْمَتِهِمَا ، وَالْعَمَلِ عَلَى كَسْبِ رِضَائِهِمَا ، لِأَنَّهُمَا رَبَّيَانَا صِغَارًا ، وَأَنْفَقَا عَلَيْنَا كِبَارًا . وَحَذَّرَنَا أَنْ نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا خَوْفًا مِنَ الْفَقْرِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ الْعَرَبُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ ، لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَهُمْ تَكَفَّلَ بِهِمْ ، وَسَيَرْزُقُهُمْ كَمَا رَزَقَنَا ، كَمَا حَذَّرَنَا أَنْ نَفْعَلَ الْقَبَائِحَ وَالْآثَامَ كَشُرْبِ الْخَمْرِ وَغَيْرِهَا ، عَلَانِيَةً فِي الْحَوَانِيتِ وَالْمَحَالِّ الْعُمُومِيَّةِ ، أَوْ سِرًّا بَيْنَ جُدْرَانِ الْمَنَازِلِ ، بَلْ نَبْتَعِدَ عَنْهَا خَوْفًا مِنَ اللّٰهِ فِي

السِّرِّ وَالْعَلَنِ . وَنَهَانَا عَنْ قَتْلِ الْإِنْسَانِ إِلاَّ إِذَا كَانَ عَدُوًّا فِي حَرْبٍ، أَوْ كَانَ مُجْرِماً يَسْتَحِقُّ الْإِعْدَامَ .

كَمَا نَهَانَا عَنِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلاَّ لِتَثْمِيرِهَا وَتَنْمِيَتِهَا ، وَفَرَضَ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ حِفْظَهَا ، حَتَّى يَكْبَرَ الْيَتِيمُ وَيُصْبِحَ رَجلاً ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يُسَلِّمُونَ أَمْوَالَهُ إِلَيْهِ ، لِيَتَوَلَّى تَصْرِيفَهَا بِنَفْسِهِ . وَأَمَرَنَا اللهُ أَنْ نَبِيعَ وَنَشْتَرِيَ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ ، وَتَوَعَّدَ مَنْ يُطَفِّفُ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْهَلاَكِ وَالْعَذَابِ . وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ إِذَا دُعِينَا لِلشَّهَادَةِ ، وَنَحْكُمَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْقَضَاءِ ، كَمَا أَمَرَنَا أَنْ نَفِيَ بِعُهُودِنَا ، وَنَصْدُقَ فِي وُعُودِنَا ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ لِلَّهِ تَعَالَى أَمْ لِلنَّاسِ .

تِلْكَ الْأَوَامِرُ وَهَذِهِ النَّوَاهِي، طَرِيقُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ ، الْمُوَصِّلُ إِلَى السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لِكُلِّ مَنْ يَسِيرُ عَلَى مُقْتَضَاهَا ، وَيَعْمَلُ فِي حُدُودِهَا .

فَاتَّبِعْ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ مَا بَيَّنَهُ نَبِيُّكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَمَا جَاءَ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ ، خَيْرُ الْأَدْيَانِ جَمِيعاً ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَكَ ، وَمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَدْيَانُ الْفَاسِدَةُ ، أَوْ شَرَعَتْهُ الْعُقُولُ الْجَاحِدَةُ الْمُنْكِرَةُ ، لِئَلَّا تَضِلَّ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ ، وَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً .



القسم الثانى

التهذيب

(ا) الحَدِيثُ الشَّرِيفُ

(١) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)

(مَا يُرْشِدُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ)

يُرْشِدُ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَكُونُ

إِسْلاَمُهُ كَامِلاً ، وَإِيمَانُهُ مَقْبُولاً عِنْدَ اللهِ إِلاَّ إِذَا كَانَ طَاهِرَ الْقَلْبِ ، مُحِبًّا لِلْخَيْرِ ، يَتَمَنَّى لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يَتَمَنَّاهُ لِنَفْسِهِ ، فَلاَ يَحْسُدُهُ عَلَى نِعْمَةٍ أَسْبَغَهَا اللهُ عَلَيْهِ ، بَلْ يَرْجُو مِنَ اللهِ أَنْ يُدِيمَ النِّعْمَةَ عَلَى أَخِيهِ ، وَأَنْ يَهَبَ لَهُ مِثْلَهُ ، وَلاَ يَفْرَحُ لِنَكْبَةٍ حَلَّتْ بِهِ ، بَلْ يَدْعُو اللهَ أَنْ يَكْشِفَ الضُّرَّ عَنْهُ .

فَإِذَا أَحْبَبْتَ أَيُّهَا النَّاشِئُ أَنْ تَكُونَ مُسْلِماً كَامِلاً مَقْبُولاً عِنْدَ اللهِ ، فَلاَ تَكْرَهْ مُسْلِماً أَبَداً ، وَلاَ تَحْسُدْ إِخْوَانَكَ إِذَا تَقَدَّمُوا عَلَيْكَ فِي الْفِرْقَةِ ، أَوْ تَرَقَّوْا فِي الْوَظِيفَةِ عَنْكَ ، أَوْ نَالُوا خَيْراً حُرِمْتَ مِنْهُ ، بَلْ تَوَجَّهْ إِلَى اللهِ أَنْ يَجْعَلَكَ مِثْلَهُمْ ، وَيُعْطِيَكَ مِمَّا أَعْطَاهُمْ

(٢) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)

(مَا يُرْشِدُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ)

يُرْشِدُ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ إِلَى أَنَّ أَلَذَّ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ الْإِنْسَانُ هُوَ مَا كَانَ مِنْ عَرَقِ جَبِينِهِ ، وَكَسْبِ يَدِهِ ، وَثَمَرَةِ مَجْهُودِهِ ، وَأَنَّ أَفْضَلَ الْمَالِ مَا جُمِعَ بِالْجِدِّ وَالْكَدِّ ، وَلَمْ يُورَثْ عَنْ أَبٍ أَوْ جَدٍّ ، وَلَيْسَ الْعَمَلُ

لِكسبِ الْقُوتَ عاراً ، لِأَنَّ نبيَّ اللهِ داوُدَ كانَ يأْكُلُ مِنْ عملِ يدِهِ ، ورسُولَ اللهِ مُحمَّداً كانَ يعيشُ مِنْ رِعايَةِ الْغنمِ ، ومُزاولَةِ التِّجارَةِ ، وكذلِكَ كانَ كلُّ الْأَنْبِياءِ .

فاقْتدِ أَيُّها التِّلْمِيذُ الْمُسْلِمُ بِأَنْبِياءِ اللهِ ، ولا تكُنْ حمْلًا على غيْرِكَ ، عاجِزاً عنْ كسْبِ قُوتِكَ ، ولا تجْلِسْ في الْبيْتِ كالْمُقْعَدِ أَوِ الْأَعْمى ، إِذا نِلْتَ الشَّهادَةَ ، ولَمْ تجِدْ عملًا في الْحُكُومَةِ ، بلِ احْترِفْ أَيَّ حِرْفَةٍ شرِيفَةٍ تأْكُلُ مِنْها الْعيْشَ ، فلا تأْنفْ أَنْ تكُونَ سائِقَ سيَّارَةٍ ، أَوْ عامِلًا في مصْنعٍ أَوْ فلَّاحاً في حقْلٍ ، فكُلُّ عملٍ أَكْسبَ الْقُوتَ شرِيفٌ ومحْمُودٌ .

(٣) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

اَلْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ. وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ، كَانَ اللهُ فِى حَاجَتِهِ. وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

لَا يُسْلِمُهُ = لَا يُلْقِيهِ إِلَى الْهَلَكَةِ، وَلَا يُسَلِّمُهُ لِعَدُوٍّ

فَرَّجَ كُرْبَةً = أَزَالَ غَمًّا وَشِدَّةً

(مَا يُشِيرُ إليه الْحَدِيثُ)

يُشِيرُ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ أَبٍ وَأُمٍّ ، وَهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَلَا يَصِحُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَظْلِمَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ ، بِأَنْ يَأْخُذَ مَالَهُ أَوْ يَتَعَدَّى عَلَى حُقُوقِهِ ، وَلَا يَجُوزُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُلْقِيَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ ، أَوْ يَخْذُلَهُ وَيُسَلِّمَهُ إِلَى أَعْدَائِهِ ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَوْنًا لَهُ وَنَصِيرًا ؛ وَأَنْ يَسْعَى لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَيُقَدِّمَ الْمُسَاعَدَةَ الْمُمْكِنَةَ لَهُ ، وَأَنْ يُخَفِّفَ عَنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ مُصِيبَتَهُ وَشِدَّتَهُ ، بِمُشَارَكَتِهِ فِي أَحْزَانِهِ ، وَتَقْدِيمِ الْمَعُونَةِ لَهُ عِنْدَ فَقْرِهِ وَاحْتِيَاجِهِ . وَأَنْ يَسْتُرَ عُيُوبَهُ إِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهَا ، لِيَرْضَى اللهُ عَنْهُ ، وَيَكُونَ مَعَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا يَكُونُ مَعَ أَخِيهِ .

فَيَاحَبَّذَا لَوْ اتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ ، وَصَارُوا

إِخْوَةً مُتَحَابِّينَ مُتَآلِفِينَ ، كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، لَقَلَّتْ الْجَرَائِمُ بَيْنَهُمْ ، وَهَابَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ حَالُهُمْ .

---

(٤) قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ . فَقَالُوا مَا لَنَا بُدٌّ ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا . قَالَ : فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ . فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا . قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : غَضُّ الْبَصَرِ . وَكَفُّ الْأَذَى . وَرَدُّ السَّلَامِ . وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ . وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)

(مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ)

كَانَ النَّاسُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَجْلِسُونَ بِالطُّرُقَاتِ . كَمَا يَفْعَلُ سُكَّانُ الْقُرَى الْآنَ . فَكَانُوا يُضَايِقُونَ السَّائِرِينَ فِيهَا ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانُوا نِسَاءً ، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ عَنِ الْجُلُوسِ بِهَا ، فَقَالُوا : لَيْسَ لَنَا عِوَضٌ عَنْهَا ، وَلَا مَفَرَّ مِنَ الْجُلُوسِ فِيهَا ، لِأَنَّهَا أَنْدِيَتُنَا الَّتِي تَجْمَعُنَا ، وَمَجَالِسُنَا الَّتِي نَتَحَدَّثُ وَنَتَشَاوَرُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ : إِذَا كَانَ لَا غِنًى لَكُمْ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا مَفَرَّ مِنَ الْجُلُوسِ فِيهَا ، فَأَعْطُوهَا حَقَّهَا ، وَحَقُّ الطَّرِيقِ : إِغْضَاءُ النَّظَرِ ، وَكَفُّهُ عَنِ التَّحْدِيقِ فِي السَّائِرِينَ وَخَاصَّةً السَّيِّدَاتِ ، لِأَنَّ النَّظَرَ إِلَيْهِنَّ حَرَامٌ ، وَمِنْ حَقِّ الطَّرِيقِ أَيْضًا مَنْعُ الْأَذَى عَنِ الْمَارِّينَ ، بِحِفْظِ اللِّسَانِ عَنْ تَوْجِيهِ الْأَلْفَاظِ الْبَذِيئَةِ ، وَفَضِّ الْمَشَاكِلِ وَالْمُنَازَعَاتِ ،

وَمِنْ حقِّهَا رَدُّ السَّلَامِ عَلَى مَنْ يُلْقِيهِ ، وَعَمَلُ كُلِّ حَسَنٍ ، وَتَرْكُ كُلِّ قَبِيحٍ .

فَيَا حَبَّذَا لَوْ عَمِلَ النَّاسُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ ، لَسَلِمَ السَّيِّدَاتُ مِنْ مُضَايَقَةِ الْأَشْرَارِ ، وَالْمُتَلَكِّئِينَ فِي الطُّرُقَاتِ ، وَقَلَّتِ الْجَرَائِمُ الَّتِى نُشَاهِدُهَا فِي الشَّوَارِعِ كُلَّ يَوْمٍ .

---

(٥) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

(آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ . وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ . وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ)

....

الْآيَةُ = الْعَلَامَةُ

الْمُنَافِقُ = هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيُخْفِي الْكُفْرَ

(مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ)

يُشِيرُ الْحَدِيثُ إِلَى أَنَّ الْمُنَافِقَ يُعْرَفُ بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : الْكَذِبُ فِي الْحَدِيثِ ، وَعَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ ، وَالْخِيَانَةُ لِمَنِ ائْتَمَنَهُ ، وَمِنَ الْحَدِيثِ يُفْهَمُ أَنَّ الْمُسْلِمَ عَلَامَتُهُ الصِّدْقُ فِي الْقَوْلِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ ، وَحِفْظُ الْأَمَانَةِ

فَكُنْ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ مُسْلِماً حَقًّا ، تَدُلُّ أَفْعَالُكَ عَلَيْكَ ، وَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَكْذِبْ أَبَداً ، وَلَوْ كَانَ فِي الْكَذِبِ نَجَاتُكَ ، وَحَافِظْ عَلَى الْوَعْدِ ، وَاحْرِصْ عَلَى أَدَائِهِ فِي زَمَنِهِ ، فَوَعْدُ الْحُرِّ دَيْنٌ عَلَيْهِ ، وَإِذَا ائْتَمَنَكَ أَحَدٌ عَلَى سِرِّهِ ، فَلَا تُطْلِعْ غَيْرَكَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا أَوْدَعَكَ أَمَانَةً فَرُدَّهَا كَمَا تَسَلَّمْتَهَا .

(٦) سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ: (الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ)

....

الْكَبَائِرُ = الأَفْعَالُ الْقَبِيحَةُ الَّتِي نَهَانَا اللهُ عَنْهَا

عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ = أَذَاهُمَا وَعِصْيَانُهُمَا

الزُّورُ = الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ وَالتُّهَمَةُ

(مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ)

فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُبَيِّنُ رَسُولُ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَبَائِرَ الذُّنُوبِ، وَعَظِيمَ الْخَطَايَا، الَّتِي تُوجِبُ شَدِيدَ الْعِقَابِ، وَتُودِي بِفَاعِلِهَا إِلَى جَهَنَّمَ، وَالَّتِي لَنْ يُرْجَى مِنَ اللهِ غُفْرَانُهَا. وَإِنْ كَانَ يَغْفِرُ مَا دُونَهَا. وَأَعْظَمُ هَذِهِ

الذُّنُوبِ الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالْقَوْلُ بِتَعَدُّدِهِ، وَتَمْلِيكُ غَيْرِهِ مَعَهُ. فَمَنْ قَالَ بِذَلِكَ كَافِرٌ، وَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُ، لِأَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ. كَمَا أَنَّ مِنْ أَقْبَحِ الذُّنُوبِ قَتْلُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنْ غَيْرِ حَقٍّ، وَخَاصَّةً قَتْلَ الْمُسْلِمِ، الَّذِي تَفَشَّى بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ الْآنَ، فَكُلُّ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ، وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. وَمِنَ الْكَبَائِرِ أَيْضًا الْإِسَاءَةُ إِلَى الْوَالِدَيْنِ بِعِصْيَانِهِمَا، وَعَدَمِ مُسَاعَدَتِهِمَا، وَمَنْعِ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمَا، فَفِي ذَلِكَ نُكْرَانٌ لِجَمِيلِهِمَا، وَعِصْيَانٌ لِأَوَامِرِ اللهِ الَّذِي أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا.

أَمَّا شَهَادَةُ الزُّورِ فَقَدْ وَصَفَهَا النَّبِيُّ بِأَنَّهَا أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ، وَأَفْظَعُ الْخَطَايَا، فَكَمْ مِنْ حَقٍّ ضَاعَ بِهَا، وَكَمْ مِنْ نَفْسٍ بَرِيئَةٍ ذَهَبَتْ ضَحِيَّتَهَا، أَوْ لَبِسَتْ ثَوْبَ السِّجْنِ، وَذَاقَتْ مُرَّ الْعَذَابِ.

(٧) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ :

(مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى مِنْهُ ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا . وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا)

تَرَدَّى = رَمَى نَفْسَهُ

تَحَسَّى = تجرَّعَ وَشَرِبَ
يَتَوَجَّأُ = يَضْرِبُ

(ما يَنْهَى عَنْهُ الْحَدِيثُ)

يَنْهَى الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ عَنْ الاِنْتِحَارِ بِأَىِّ وَسِيلَةٍ كانَ ، وَيَتَوَعَّدُ كُلَّ مَنْ يُقْدِمُ عَلَيْهِ بِأَشَدِّ عُقُوبَةٍ فِي الْآخِرَةِ ، وَهِيَ الْخُلُودُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ أَبَدًا ، لِأَنَّهُ لَافَرْقَ بَيْنَ مَنْ يَقْتُلُ نَفْسَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَقْتُلُ غَيْرَهُ ، وَسَيَفْضَحُ اللهُ الْمُنْتَحِرِينَ ، وَيُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابَ ، بِأَنْ يُحْضِرَ لَهُمْ وَسَائِلَ الاِنْتِحَارِ الَّتِي أَزْهَقُوا بِهَا أَرْوَاحَهُمْ ، وَيَحْمِلَهُمْ عَلَى تَعْذِيبِ نُفُوسِهِمْ بِتَكْرَارِ عَمَلِيَّةِ الاِنْتِحَارِ الَّتِي ارْتَكَبُوهَا فِي حَيَاتِهِمْ . فَلَيْتَ الَّذِينَ انْتَحَرُوا يَرْجِعُونَ ، لِيَسْمَعُوا وَعِيدَ اللهِ لَهُمْ ، وَيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ خَرَجُوا مِنْ حَيَاتِهِمْ مُوَدِّعِينَ بِالْآلَامِ ، وَسَيَلْقَوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ أَشَدَّ هَوْلاً .

فإيّاكَ أيُّها النّاشىء أنْ تُفكِّرَ في الانتحار إذا رَسَبْتَ في الامْتحان، أوْ ترَاكَمتْ عليْكَ هُمومُ الحياةِ، لأنَّكَ تهْرُبُ مِنْ ألمٍ إلى عذابٍ، ومِنْ ضيقِ الدُّنْيا إلى سعيرِ جَهنَّمَ. بلِ اصْبرْ على بَلْواكَ، وجاهِدْ في حياتِكَ ولا تَكُنْ جبَانًا، واعْلَمْ أنَّ الْمُنْتَحِرَ تخَلُّصًا مِنْ حيَاتِهِ، كَجُنْديٍّ فرَّ مِنْ ميْدانِ الْقتَالِ.

---

(٨) قَالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ:

(تَجدُ منْ شَرِّ النّاسِ يَوْمَ الْقيامَةِ عنْدَ اللهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذي يأْتي هؤُلاءِ بوَجْهٍ، وهَؤُلاءِ بوَجْهٍ)

....

ذُو الْوَجْهَيْنِ = الْمُذَبْذَبُ — الْمُتملِّقُ

(مَا يُفِيدُهُ الْحَدِيثُ)

فِي هَذَا الْحَدِيثِ يُخْبِرُنَا اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّ أَقْبَحَ النَّاسِ وَأَرْذَلَهُمْ، وَأَسْوَأَهُمْ مَكَانًا فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْمُذَبْذَبُونَ الْمُتَمَلِّقُونَ، الَّذِينَ يَسْعَوْنَ بِالْوِشَايَةِ بَيْنَ النَّاسِ، فَيُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَبِ وَوَلَدِهِ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَيَجْعَلُونَ الْجَمَاعَةَ أَحْزَابًا وَشِيَعًا، وَيُشَتِّتُونَ الشَّمْلَ وَهُوَ جَمِيعٌ، فَيَنْقُلُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ كَلَامًا ـ صِدْقًا كَانَ أَوْ كَذِبًا ـ وَيَنْقُلُونَ إِلَى هَؤُلَاءِ كَلَامًا، وَبِذَلِكَ تَزْدَادُ الْعَدَاوَةُ، وَتَسْتَحْكِمُ الشَّحْنَاءُ

فَإِيَّاكَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ وَنَقْلَ الْحَدِيثِ، وَالْوِشَايَةَ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا سَمِعْتَ تِلْمِيذًا يَسُبُّ غَيْرَهُ وَهُوَ غَائِبٌ، أَوْ يَقُولُ عَنْهُ كَلَامًا لَا يَرْتَضِيهِ، فَلَا تَنْقُلْ هَذَا الْحَدِيثَ وَهَذَا السَّبَّ إِلَيْهِ، لِأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ كُنْتَ خَائِنًا آثِمًا.

(٩) قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَحَاسَدُوا. وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا)

الظَّنُّ = الشَّكُّ

لَا تَجَسَّسُوا = لَا تَبْحَثُوا عَنْ عَوْرَاتِ النَّاسِ

وَلَا تَحَسَّسُوا = لَا تَسْتَرِقُوا الْحَدِيثَ

وَلَا تَنَاجَشُوا = وَلَا تَزِيدُوا فِي ثَمَنِ السِّلَعِ، لِيَقَعَ غَيْرُكُمْ فِيهَا، وَأَنْتُمْ لَا تُرِيدُونَ شِرَاءَهَا

وَلاَ تحَاسَدُوا = ولاَ يتَمَنَّ أَحدُكُمْ زَوالَ النِّعْمَةِ
عَنْ أَخِيهِ
وَلاَ تبَاَغضُوا = وَلاَ يَكْرَهْ بَعْضُكُمْ بعْضاً
وَلاَ تدَابَرُوا = وَلاَ يهْجُرْ أَحدُكُمْ أَخاهُ ويَقْطَعْهُ

(ما ينَهَى الْحدِيثُ عَنْهُ)

فى هَذَا الْحدِيثِ ينْهَانَا اللّٰهُ على لِسَانِ نبِيِّهِ عَن اتِّبَاعِ الشَّكِّ نحْوَ أَصْدِقَائِنَا ، أَوِ التَّرَدُّدِ فِى أَعْمَالِنَا ، لِأَنَّ الشَّكَّ أَكْذَبُ حدِيثٍ يُحدِّثُ بِهِ الْمَرْءُ نفْسَهُ ، وَقَاتِلٌ لِلْهِمَمِ وَالْعزَائِمِ ، كَمَا ينْهَانَا عَنِ الْبَحْثِ عَنْ عوْرَاتِ النَّاسِ ، وَتتَبُّعِ حرَكَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، أَوِ اسْتِرَاقِ حدِيثِهِمْ وَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ . وَيُحذِّرُنَا أَنْ يزِيدَ بعْضُنَا عَلَى شرَاءِ بعْضٍ وَهُوَ لاَ يُرِيدُ الشِّرَاءَ ، بلْ يقْصِدُ غِشَّ الشَّارِى (كَمَا يفْعَلُ بعْضُ التُّجَّارِ الآنَ بِدَسِّ عَامِلٍ مِنْ عُمَّالِهِمْ بيْنَ الْمُشْتَرِينَ

فَيَزِيدُ عَلَى كُلِّ ثَمَنٍ حَتَّى يَقَعَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ فِى الشِّرَاءِ)

وَنَهَانَا رَسُولِ اللهِ فِى حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ عَنْ أَنْ نَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ نَرْجُوَ لَهُ الْمَصَائِبَ. كَمَا نَهَانَا عَنْ كَرَاهَةِ بَعْضِنَا بَعْضًا، وَإِحْلَالِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، مَحَلَّ الْمَحَبَّةِ وَالصَّفَاءِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَكْرَهَ أَخَاهُ، أَوْ يَهْجُرَهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَكُونَ مُتَحَابِّينَ مُتَسَانِدِينَ، كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا

وَلَوِ اتَّبَعَ الْمُسْلِمُونَ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ مَا تَفَرَّقُوا أَحْزَابًا وَشِيَعًا، يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَيَتَمَنَّى أَحَدُهُمْ لِأَخِيهِ أَنْ تَخْطَفَهُ الطَّيْرُ، أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ بَعِيدٍ.

(١٠) قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ:

(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِى بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِى بَلَغَ بِى. فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِىَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ.

قَالُوا يَارَسُولَ اللهِ: وَإِنَّ لَنَا فِى الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟

فَقَالَ: فِى كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)

(مَا يُرْشِدُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ)

يُرْشِدُ هَذَا الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ إِلَى وُجُوبِ الْعَطْفِ عَلَى الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ ، لِأَنَّهُ أَخْرَسُ لَا يَنْطِقُ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِفْصَاحِ عَنْ حَاجَتِهِ ، فَهُوَ أَوْلَى بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، كَمَا يُشِيرُ الْحَدِيثُ إِلَى عِظَمِ الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ لِكُلِّ مَنْ يَعْطِفُ عَلَى الْحَيَوَانِ ، فَقَدْ غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِى سَقَى الْكَلْبَ ، وَرَضِىَ عَنْهُ وَسَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ فِى الْآخِرَةِ

فَاعْطِفْ أَيُّهَا النَّاشِئُ عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانِ ، فَأَطْعِمْ قِطَّتَكَ وَلَا تَضْرِبْهَا ، وَأَطْلِقِ الطَّيْرَ وَلَا تَنْتِفْ رِيشَهُ ، وَارْحَمْ حِصَانَكَ وَحِمَارَكَ وَلَا تَضْرِبْهُمَا ، وَأَرِحْ ثَوْرَكَ وَجَمَلَكَ وَلَا تُجْهِدْهُمَا ، فَإِنَّ لَكَ فِى كُلِّ ذَلِكَ أَجْرًا .

(ب) السِّيَرُ

(١) خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِين

نسبها ومولدها

هِيَ خَدِيجَةُ ابْنَةُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ قُصَيٍّ. تَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَدِّ الرَّابِعِ، وُلِدَتْ عَامَ ٥٥٦ مِيلادِيَّةٍ، أَيْ قَبْلَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ بِخَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا، فَهِيَ أَزْكَى قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمُهُمْ شَرَفًا، وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ، وَأَوَّلُ إِنْسَانٍ أَسْلَمَ، لَمْ يُسْلِمْ قَبْلَهَا أَحَدٌ لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى

زواجها من النبي

كَانَتْ خَدِيجَةُ ذَاتَ ثَرْوَةٍ وَافِرَةٍ، وَتِجَارَةٍ وَاسِعَةٍ، فَكَانَتْ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ لِلتِّجَارَةِ فِي مَالِهَا، فَلَمَّا بَلَغَهَا

عَن النَّبيِّ صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَعِظَمُ الْأَمَانَةِ وَكَرَمُ الْأَخْلَاقِ، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ لِيَخْرُجَ فِي مَالِهَا إِلَى الشَّامِ تَاجِراً مَعَ غُلَامِهَا مَيْسَرَةَ، وَتُعْطِيهُ ضِعْفَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ، فَقَبِلَ النَّبِيُّ وَخَرَجَ مَعَ غُلَامِهَا مَيْسَرَةَ، فَلَمَّا بَلَغَ حُدُودَ الشَّامِ، نَزَلَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيباً مِنْ صَوْمَعَةِ رَاهِبٍ لِيَسْتَرِيحَ، فَأَبْصَرَهُ الرَّاهِبُ فَسَأَلَ مَيْسَرَةَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا نَبِيٌّ.

ثُمَّ بَاعَ مُحَمَّدٌ وَاشْتَرَى، وَعَادَ وَقَدْ رَبِحَ ضِعْفَ مَا كَانَ يَرْبَحُهُ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَخْبَرَ خَدِيجَةَ بِالرِّبْحِ فَرِحَتْ فَرَحاً عَظِيماً، وَأَعْطَتْهُ ضِعْفَ مَا وَعَدَتْهُ بِهِ. ثُمَّ أَخْبَرَهَا مَيْسَرَةُ بِمَا سَمِعَ مِنَ الرَّاهِبِ، وَحَدَّثَهَا عَنْ سِيرَتِهِ فِي السَّفَرِ، فَرَغِبَتْ فِي الزَّوَاجِ مِنْهُ، وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ لِيَخْطُبَهَا مِنْ عَمِّهَا، فَجَاءَ مَعَ أَعْمَامِهِ إِلَى عَمِّهَا وَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا وَكَانَ

عُمْرُهُ خَمْسَةً وَعِشْرِينَ عَاماً ، وَعُمْرُهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَوَلَدَتْ لَهُ كُلَّ أَوْلَادِهِ ، إِلاَّ إِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ مِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ

عملها فى الاسلام

كَانَ مِنْ عَادَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ أَنْ يَتَعَبَّدَ فِى غَارِ حِرَاءَ ، عَلَى دِينِ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا ابْتَدَأَ الْوَحْيُ بِوَسَاطَةِ جِبْرِيلَ ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ فِى الْغَارِ ، رَجَعَ النَّبِيُّ خَائِفاً مَذْعُوراً ، وَأَخْبَرَ خَدِيجَةَ بِمَا رَأَى ، فَقَالَتْ لَهُ : أَبْشِرْ ، فَلَنْ يُخْزِيَكَ اللهُ أَبَداً ، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتُؤَدِّى الْأَمَانَةَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَإِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

ثُمَّ ذَهَبَتْ خَدِيجَةُ إِلَى ابْنِ عَمِّهَا ، « وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ » ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً ، وَكَانَ قَدْ عَمِىَ وَتَنَصَّرَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقَرَأَ التَّوْرَاةَ وَالْأَنْجِيلَ ، فَلَمَّا ذَكَرَتْ لَهُ خَدِيجَةُ أَمْرَ

جبْرِيلَ، وَقِصَّةَ الرَّاهِبِ مَعَ مَيْسَرَةَ، قَالَ لَهَا: إِنَّهُ لَيَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِى أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى.

فَرَجَعَتْ خَدِيجَةُ إِلَى النَّبِيِّ وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا قَالَ لَهَا وَرَقَةُ، ثُمَّ آمَنَتْ بِهِ، فَكَانَتْ أَوَّلَ نَفْسٍ أَجَابَتْ دَاعِيَ اللهِ، وَسَاعَدَتِ النَّبِيَّ بِمَالِهَا فِى نَشْرِ الأَسْلاَمِ، وَكَانَتْ تُوَاسِيهِ، وَتُخَفِّفُ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنْ عِنَادِ الْمُشْرِكِينَ.

وَتُوُفِّيَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْبِعْثَةِ، وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاَثِ سِنِينَ، وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، فَحَزِنَ عَلَيْهَا الرَّسُولُ حُزْنًا عَظِيماً، وَسَمَّى عَامَ مَوْتِهَا بِعَامِ الْحُزْنِ.

أخلاقها

كَانَتْ خَدِيجَةُ أَشْرَفَ نِسَاءِ الْعَرَبِ حَسَباً وَنَسَباً، وَكَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تُسَمَّى الطَّاهِرَةَ، وَكَانَتِ امْرَأَةً جَمِيلَةً، حَاذِقَةً، عَاقِلَةً، وَكَانَ كُلٌّ مِنْ قَوْمِهَا حَرِيصاً عَلَى الزَّوَاجِ

بِهَا ، وَلَـكِنَّهَا لَمْ تَقْبَلْ ، فَلَمَّا رَأَتْ مِنَ النَّبِيِّ مَا رَأَتْ ، طَلَبَتْ مِنْهُ زَوَاجَهَا ، فَخَصَّهَا اللهُ بِشَرَفِ عِشْرَةِ الرَّسُولِ ، وَكَانَتْ فِي الْإِسْلَامِ خَيْرَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بِلَا نِزَاعٍ ، وَقَدْ اشْهَدَ لَهَا الرَّسُولُ بِالْفَضْلِ ، وَسَمَّاهَا اللهُ بِأُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا سَمَّى أَزْوَاجَ النَّبِيِّ كَذَلِكَ .

كَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِثَالَ الطَّهَارَةِ وَالْعِفَّةِ ، وَقُدْوَةً لِلنِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ فِي حِفْظِ حُقُوقِ الْأَزْوَاجِ ، وَرِعَايَةِ بُيُوتِهِمْ ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ نَاصِرٍ وَمُعِينٍ لِلرَّسُولِ فِي نَشْرِ دَعْوَتِهِ ، وَتَحَمُّلِ الْآلَامِ وَالْمَشَاقِّ . كَانَتْ قَوِيَّةَ الْإِسْلَامِ ، ثَابِتَةَ الْقَلْبِ ، فَلَمَّا أَمَرَ اللهُ النَّبِيَّ أَنْ يُقْرِئَهَا السَّلَامَ مِنْهُ ، قَالَتْ : مِنَ اللهِ السَّلَامُ ، وَإِلَى اللهِ السَّلَامُ .

فَرَحِمَ اللهُ سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَجَعَلَ بَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ يَقْتَدِينَ بِهَا ، وَيَسِرْنَ عَلَى خُطَاهَا .

(٢) الْخَلِيفَةُ الْأَوَّلُ، أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ

نسبه ومولده :

هُوَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الْقُرَشِيُّ، يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَدِّ الْخَامِسِ . وُلِدَ بَعْدَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ بِسَنَتَيْنِ وَبِضْعَةِ أَشْهُرٍ ، أَيْ فِي عَامِ ٥٦٨ مِيلَادِيَّةً ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَزُعَمَائِهَا يَقُومُ بِالدِّيَاتِ وَالْمَغَارِمِ ، وَيَحْتَرِفُ التِّجَارَةَ ، وَكَانَ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ ، مُحَبَّباً إِلَى النَّاسِ

اسلامه وصحبته للنبي .

لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ أَبُو بَكْرٍ ، فَكَانَ ثَانِيَ نَفْسٍ تَقَبَّلَتِ الْإِسْلَامَ بَعْدَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ، وَبِإِسْلَامِهِ أَسْلَمَ سَيِّدُنَا

عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ .

ثُمَّ صَحِبَ النَّبِيَّ مِنْ حِينَ أَسْلَمَ ، إِلَى حِينَ تُوُفِّيَ ، وَكَانَ أَحَبَّ رَفِيقٍ إِلَى الرَّسُولِ ، وَأَعَزَّ صَاحِبٍ لَدَيْهِ ، فَسَاعَدَهُ عَلَى نَشْرِ الْإِسْلَامِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَصَحِبَهُ يَوْمَ الْهِجْرَةِ ، وَرَافَقَهُ فِي الْغَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَمْ يَذُقْ لِلنَّوْمِ فِيهَا طَعْماً ، خَوْفاً عَلَى النَّبِيِّ مِنَ الْكُفَّارِ ، وَلَمَّا دَخَلَ الْغَارَ فَرَشَ فَخِذَهُ لِلرَّسُولِ فَنَامَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ جَالَ بِنَظَرِهِ فَرَأَى شَقّاً فِي جَانِبِ الْغَارِ فَسَدَّهُ بِرِجْلِهِ ، فَعَضَّهُ ثُعْبَانٌ كَانَ فِيهِ ، فَلَمْ يَتَمَلْمَلْ أَوْ يَتَأَوَّهْ حِرْصاً عَلَى نَوْمِ النَّبِيِّ ، فَلَمَّا سَرَى السُّمُّ فِي جَسَدِهِ ، خَافَ أَنْ يَمُوتَ وَيَتْرُكَ الرَّسُولَ مُنْفَرِداً ، فَبَكَى فَنَزَلَتْ دَمْعَةٌ عَلَى خَدِّ النَّبِيِّ فَاسْتَيْقَظَ ، وَسَأَلَهُ الْخَبَرَ ، فَأَعْلَمَهُ بِهِ ، فَمَسَحَ النَّبِيُّ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ

رِجْلَ أَبِي بَكْرٍ فَشُفِيَ بِإِذْنِ اللهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَاتَحْزَنْ يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ اللهَ مَعَنَا .

ثُمَّ لَازَمَ النَّبِيَّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ ، فَلَمْ يَتْرُكْ حَرْبًا مِنْ حُرُوبِ الرَّسُولِ إِلَّا حَضَرَهَا ، وَوَقَفَ فِيهَا عَلَى رَأْسِهِ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، يَفْدِيهِ بِنَفْسِهِ ، وَيَدْفَعُ عَنْهُ الْأَعْدَاءَ ، وَظَلَّ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ الرَّسُولُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ .

خلافته

لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، كَانَ أَبُو بَكْرٍ غَائِبًا ، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّعْيُ أَقْبَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَوَجَدَ النَّاسَ فِي هَرَجٍ وَمَرَجٍ ، وَاخْتِبَاطٍ وَفَوْضَى ، فَمِنْهُمُ الْمُصَدِّقُ ، وَمِنْهُمُ الْمُكَذِّبُ ، فَدَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ وَقَبَّلَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ ، فَقَالَ لَهُمْ : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ .

فَهَدَأَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ ، وَعَادَ إِلَيْهِمُ الرُّشْدُ ، وَقَدْ كَانُوا فِي ذُهُولٍ مِنْ هَوْلِ الْمُصَابِ .

ثُمَّ بَايَعَهُ النَّاسُ بِالْخِلَافَةِ ، فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ بَيْعَتِهِ ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي ، الصِّدْقُ أَمَانَةٌ ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ . أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ ، فَإِنْ عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ .

أعماله

(١) قِتَالُ الْمُتَنَبِّئِينَ وَالْمُرْتَدِّينَ

قُبَيْلَ وَفَاةِ النَّبِيِّ وَبَعْدَ مَوْتِهِ ، ظَهَرَ بَيْنَ الْعَرَبِ رِجَالٌ أَرَادُوا التَّشَبُّهَ بِهِ ، فَادَّعَوْا النُّبُوَّةَ ، وَتَبِعَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ جُهَّالِ

الْقَبائِلِ الْعَرَبِيَّةِ . وَامْتَنَعَ أَكْثَرُ الْقَبائِلِ عَنْ دَفْعِ الزَّكاةِ وَطَرَدُوا عُمَّالَهَا ، لِأَنَّهُمْ عَدُّوهَا إِتَاوَةً لَا تَطِيبُ نُفُوسُهُمْ بِدَفْعِهَا . وَجَهِلُوا حِكْمَةَ اللهِ فِى فَرْضِهَا . وَأَنَّهَا مُسَاعَدَةٌ يَدْفَعُهَا الْأَغْنِيَاءُ لِتُصْرَفَ فِى مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ . فَجَمَعَ أَبُو بَكْرٍ كِبَارَ الصَّحَابَةِ لِيُشَاوِرَهُمْ فِى الْأَمْرِ ، فَأَشَارَ الْكُلُّ بِعَدَمِ قِتَالِهِمْ ، وَخَالَفَهُمْ أَبُو بَكْرٍ فِى ذَلِكَ . وَقَالَ : وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِى عِقَالَ بَعِيرٍ كَانُوا يُؤَدُّونَهُ لِرَسُولِ اللهِ ، لَقَاتَلْتُهُمْ وَحْدِى عَلَيْهِ .

فَرَجَعَ الصَّحَابَةُ عَنْ رَأْيِهِمْ ، وَوَافَقُوهُ عَلَى قِتَالِهِمْ ، فَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ الْجُيُوشَ بِقِيَادَةِ الْبَطَلِ الْعَظِيمِ « خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ » فَقَتَلَ مَنْ وَقَعَ فِى يَدِهِ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ ، وَأَخْضَعَ الْمُرْتَدِّينَ لِلْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَحُلِ الْحَوْلُ إِلَّا وَالْعَرَبُ كُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ مُخْلِصُونَ

(٢) غَزْوُ فارِسَ وَالشَّامِ

بَعْدَ انْتِهاءِ حُرُوبِ الرِّدَّةِ أَرادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَشْغَلَ الْعَرَبَ بِالْحَرْبِ وَالْفَتْحِ ، وَأَنْ يُبَلِّغَ الْإِسْلامَ لِلْأُمَمِ الْمُجاوِرَةِ لِبِلادِ الْعَرَبِ ، تَنْفِيذاً لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ ، فَجَهَّزَ عِدَّةَ جُيُوشٍ لِغَزْوِ بِلادِ الْفُرْسِ ، وَجَعَلَ قِيادَتَها الْعامَّةَ « لِخالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ » فَفَتَحَ الْعِراقَ وَالْجَزِيرَةَ .

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي ساقَ فِيهِ الْجُيُوشَ عَلَى بِلادِ الْفُرْسِ ، أَرْسَلَ أَرْبَعَةَ جُيُوشٍ لِغَزْوِ الشَّامِ مِنْ جِهاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، فَقابَلَ « هِرَقْلُ » مَلِكُ الرُّومِ كُلَّ جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ بِأَضْعافِهِ فِي الْعَدَدِ ، فَاجْتَمَعَتِ الْجُيُوشُ الْأَرْبَعَةُ فِي مَيْدانٍ واحِدٍ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرِ « الْيَرْمُوكِ » وَعَدَدُها لا يَزِيدُ عَلَى ثَلاثِينَ أَلْفاً ، وَاجْتَمَعَ الرُّومُ أَمامَهُمْ فِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْ أَلْفٍ ، وَلَبِثَ الْجَيْشانِ فِي مُناوَشاتٍ

وَمُبَارَزَاتٍ نَحْوَ ثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ ، كَاتَبَ قُوَّادُ الْعَرَبِ فِي أَثْنَائِهَا أَبَا بَكْرٍ لِيُنْجِدَهُمْ ، فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ بِالْعِرَاقِ أَنْ يَذْهَبَ بِنِصْفِ جَيْشِهِ إِلَى الشَّامِ ، فَتَكَامَلَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ أَرْبَعِينَ أَلْفاً ، وَتَوَلَّى خَالِدٌ قِيَادَةَ الْجَمِيعِ ، فَكَسَرَ بِهِمُ الرُّومَ كَسْرَةً شَنِيعَةً ، لَمْ تَثْبُتْ لِلرُّومِ بَعْدَهَا قَدَمٌ أَمَامَ الْعَرَبِ .

وَفِي أَثْنَاءِ تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ جَاءَ الْبَرِيدُ بِمَوْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَتَوْلِيَةِ « عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ » وَعَزْلِ « خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ » عَنْ قِيَادَةِ جَيْشِ الشَّامِ ، وَتَوْلِيَةِ « أَبِي عُبَيْدَةَ عَامِرِ ابْنِ الْجَرَّاحِ » بَدَلَهُ ، فَلَمْ يُغَيِّرْ ذَلِكَ مِنْ إِخْلاَصِ خَالِدٍ لِأَبِي عُبَيْدَةَ فِي الرَّأْيِ وَالْجِهَادِ .

أَمَّا جَيْشُ الْعِرَاقِ فَقَدْ تَوَلَّى قِيَادَتَهُ بَعْدَ خَالِدٍ « الْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ » ، وَظَلَّ يَفْتَحُ فِي بِلاَدِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى حُدُودِ الشَّامِ .

(٣) جَمْعُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

وَفِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ جُمِعَ الْقُرْآنُ بِإِشَارَةِ عُمَرَ، لِأَنَّ كَثِيراً مِنْ حُفَّاظِهِ قُتِلُوا فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ، وَحُفِظَتْ صُحُفُ الْقُرْآنِ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ، ثُمَّ عِنْدَ السَّيِّدَةِ «حَفْصَةَ» بِنْتِ عُمَرَ وَزَوْجِ النَّبِيِّ، حَتَّى جَاءَ سَيِّدُنَا عُثْمَانُ وَنَسَخَ مِنْهَا أَرْبَعَةَ مَصَاحِفَ أُرْسِلَتْ إِلَى الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِي بَكْرٍ بِالْمَدِينَةِ، سَنَةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ هِجْرِيَّةً، وَعُمْرُهُ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِجَانِبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ سَنَتَيْنِ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

أخلاقه

كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خَيْرَ قُدْوَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ مِنَ التَّوَاضُعِ وَشَظَفِ الْعَيْشِ، وَخُشُونَةِ الْمَلْبَسِ، مَعَ غِنَاهُ، وَوَفْرَةِ مَالِهِ، وَقَدِ اقْتَدَى بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي ذَلِكَ، وَاخْشَوْشَنُوا فِي مَأْكَلِهِمْ وَمَلْبَسِهِمْ، فَتَرَكُوا لُبْسَ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، حَتَّى أَنَّ مَلِكَ الْيَمَنِ (وَكَانَ مُسْلِمًا) قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ مَعَهُ أَلْفُ عَبْدٍ يَسِيرُونَ وَرَاءَهُ، وَعَلَيْهِ تَاجٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ، فَلَمَّا شَاهَدَ أَبَا بَكْرٍ، وَمَا عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ وَالزُّهْدِ وَالتَّوَاضُعِ، أَلْقَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْبُرُودِ وَالْحُلِيِّ، وَتَزَيَّا بِزِيِّ أَبِي بَكْرٍ

كَانَ أَبُو بَكْرٍ يَجْمَعُ إِلَى رِقَّةِ الْأَخْلَاقِ، وَسُهُولَةِ الطِّبَاعِ، الصَّلَابَةَ فِي الْحَقِّ، وَالصَّبْرَ عَلَى الشَّدَائِدِ، فَلَوْلَا صَلَابَتُهُ وَصَبْرُهُ، لَرَجَعَ الْعَرَبُ بَعْدَ النَّبِيِّ كُفَّارًا، فَلَا

غَرَابَةَ إِذَا سُمِّىَ أَبُو بَكْرٍ الْمُؤَسِّسَ الثَّانِىَ لِلإِسْلَامِ .

فَاقْتَدِ أَيُّهَا النَّاشِىءُ الْمُسْلِمُ بِأَوَّلِ خَلِيفَةٍ لَكَ فِى فِى الْإِسْلَامِ ، وَكُنْ مِثْلَهُ قَوِىَّ الْعَزِيمَةِ ، صَبُورًا عَلَى الشَّدَائِدِ، صَالِحًا تَقِيًّا مُتَوَاضِعًا، وَلَا تَلْبَسِ الْحَرِيرَ وَالذَّهَبَ لِأَنَّهُمَا حِلْيَةُ النِّسَاءِ ، وَكُنْ جِدًّا فِى كُلِّ أَعْمَالِكَ ، كَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ نَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ ، وَرَضِىَ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ .

(٣) أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ

نسبها ومولدها

هِىَ ابْنَةُ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا ، وُلِدَتْ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْبِعْثَةِ ، فَنَشَأَتْ فِى الْإِسْلَامِ طَاهِرَةً مُطَهَّرَةً ، وَتَرَعْرَعَتْ عَلَى الصَّلَاحِ وَالتَّقْوَى ، فَكَانَتْ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ فِى زَمَانِهَا .

زواجها من النبي

ثُمَّ شاءَ اللهُ لهَا الشَّرَفَ وَالرِّفْعَةَ ، فَتزَوَّجَهَا النَّبِيُّ تَشْرِيفاً لِصَاحِبِهِ أَبِي بَكْرٍ، وَسِنُّهَا تِسْعُ سِنِينَ، وَأَمْهَرَهَا أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَكَانَتْ أَحَبَّ نِسائِهِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ يَسْتَصْحِبُهَا مَعَهُ فِي غَزَوَاتِهِ ، فَرَوَتْ عَنْهُ كَثِيرًا مِنَ الْحَدِيثِ ، وَأَحاطَتْ بِأَحْكامِ الدِّينِ

أخلاقها

كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مَثَلَ الطَّهَارَةِ وَالْعِفَّةِ ، فَقَدْ نَشَأَتْ فِي بَيْتِ الصِّدِّيقِ ، وَتَرَبَّتْ فِي بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَعَاشَرَتْ رَسُولَ اللهِ مِنْ بَعْدِ هِجْرَتِهِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ ، فَتَلَقَّتْ عَنْهُ الدِّينَ ، وَحَفِظَتْ كَثِيرًا مِنْ أَحادِيثِهِ ، فَكَانَتْ أَفْصَحَ أَهْلِ زَمَانِهَا ، وَأَعْلَمَهُمْ بِالدِّينِ ، حَتَّى قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ : « خُذُوا نِصْفَ دِينِكُمْ عَنْ هَذِهِ الْحُمَيْرَاءِ » وَكَانَ لَهَا رَأْيٌ مُحْتَرَمٌ فِي شُئُونِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ

الرَّاشِدُونَ يُجِلُّونَهَا ، وَيَسْمَعُونَ قَوْلَهَا ، وَكَانَتْ خَطِيبَةً فَصِيحَةً ، جَرِيئَةً مِقْدَامَةً ، قَادَتِ الْجَيْشَ فِي وَقْعَةِ الْجَمَلِ أَيَّامَ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ .

وَتُوُفِّيَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةَ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ ، وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ

فَرَحِمَ اللَّهُ الصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ ، وَوَفَّقَ بَنَاتِ الْإِسْلَامِ إِلَى تَرَسُّمِ خُطَاهَا ، وَالسَّيْرِ عَلَى مِنْهَاجِهَا ، وَجَعَلَ مِنْهُنَّ مَنْ يَحْفَظْنَ الْحَدِيثَ وَالْقُرْآنَ ، وَيُنَشِّئْنَ الْبَنِينَ عَلَى فَضَائِلِ الْإِسْلَامِ .



(٤) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ

نسبه ومولده

هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْقُرَشِيُّ، يَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللهِ فِي الْجَدِّ الْخَامِسِ، وُلِدَ بَعْدَ النَّبِيِّ بِعِشْرِينَ عَاماً، أَيْ فِي سَنَةِ ٥٩١ مِيلَادِيَّةً، وَكَانَ أَشْجَعَ فِتْيَانِ قُرَيْشٍ، وَسَفِيرَهَا بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَكَانَ يَحْتَرِفُ التِّجَارَةَ، وَمَا زَالَتْ هَذِهِ صِنَاعَتَهُ حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ، فَتَرَكَهَا اشْتِغَالاً عَنْهَا بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.

اسلامه وصحبته للنبي

كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَجْتَمِعُونَ بِالنَّبِيِّ سِرًّا فِي دَارِ أَحَدِهِمْ، لِقِلَّتِهِمْ وَشِدَّةِ قُرَيْشٍ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَدْعُو اللهَ أَنْ يُعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَدِ

الْعُمَرَيْنِ (عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ) فَاسْتَجَابَ اللهُ دَعوةَ نَبِيِّهِ ، وَنصرَ دِينَهُ بِإِسْلَامِ ابْنِ الْخَطَّابِ ، وَشَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَأَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ مُؤْمِناً فَكَبَّرَ الْمُسْلِمُونَ تَكْبِيرَةً سُمِعَتْ بِطُرُقِ مَكَّةَ اسْتِبْشَاراً ، لَمَّا وَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ الرَّسُولِ وَنَطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ قَالَ لِلنَّبِيِّ : يَارَسُولَ اللهِ ، عَلَامَ نُخْفِي دِينَنَا ، وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ : لِأَنَّا قَلِيلٌ ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِينَا مِنَ الْكُفَّارِ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَنُصَلِّيَنَّ بِالْكَعْبَةِ الْآنَ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ فِي صَفَّيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا ، وَعُمَرُ فِي الْآخَرِ ، وَسَارَ حَتَّى دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَصَلَّى فِيهَا مَعَ أَصْحَابِهِ ، فَنَظَرَتْ قُرَيْشٌ إِلَى حَمْزَةَ وَعُمَرَ ، وَحَزِنَتْ لِإِسْلَامِ أَشْجَعِ فِتْيَانِهَا ، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَّى رَسُولُ اللهِ عُمَرَ « الْفَارُوقَ » لِأَنَّهُ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ ، وَفَرَقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .

وَصحِبَ عُمَرُ النَّبِيَّ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ ، وَنَاضَلَ عَنْهُ وَعَنْ أَصْحَابِهِ ، فَخَفَّ أَذَى الْكُفَّارِ عَنْهُمْ ، حَتَّى أَذِنَ اللهُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَهَاجَرُوا مُسْتَخْفِينَ إِلاَّ عُمَرَ ، فَإِنَّهُ لَمَّا هَمَّ بِالْهِجْرَةِ تَقَلَّدَ سَيْفَهُ ، وَتَنَكَّبَ قَوْسَهُ ، وَأَتَى الْكَعْبَةَ وَقُرَيْشٌ بِفِنَائِهَا ، فَطَافَ بِهَا سَبْعاً ، وَأَتَى مُقَامَ إِبْرَاهِيمَ فَصَلَّى فِيهِ ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى الْكُفَّارِ فِي مَجْلِسِهِمْ وَقَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ، وَأَرْغَمَ اللهُ هَذِهِ الْأُنُوفَ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ تَبْكِيَهُ أُمُّهُ ، وَيَيْتَمَ وَلَدُهُ وَتُرْمِلَ زَوْجَتُهُ ، فَلْيَلْقَنِي وَرَاءَ هَذَا الْوَادِي . فَمَا تَبِعَهُ أَحَدٌ . وَظَلَّ بَعْدَ الْهِجْرَةِ يُجَاهِدُ مَعَ الرَّسُولِ فِي نَشْرِ الدِّينِ وَيَحْضُرُ الْمَوَاقِعَ ، حَتَّى مَاتَ النَّبِيُّ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُ .

خلافته

لَمَّا أَحَسَّ أَبُو بَكْرٍ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ ، أَوْصَى قَبْلَ وَفَاتِهِ بِالْخِلاَفَةِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُو بَكْرٍ بَايَعَ

الْمُسْلِمُونَ عُمَرَ جَمِيعاً ، احْتِرَاماً لوَصِيَّةِ خَلِيفَتِهِمُ الأَوَّل ، وَتَحَقُّقاً مِنْ كِفَايَةِ عُمَرَ . فَقَدْ كَانَتْ خِلافَتُهُ عَلَيْهِمْ نَصْرًا ، كَمَا كَانَ إِسْلامُهُ مِنْ قَبْلُ نَصْرًا .

(١) فَتْحُ فَارِس

كَانَ أَوَّلَ عَمَلٍ لِعُمَرَ بَعْدَ خِلافَتِهِ حَشْدُ الْجُيُوش لِحَرْبِ الْفُرْس ، فَبَعَثَ بِأَمْدَادٍ إِلَى جَيْشِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى بَلَغَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ أَلْفاً ، وَجَعَلَ « سَعْداً بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ الْقُرَشِيَّ » قَائِداً عَلَيْهِمْ ، فَقَابَلَهُمُ الْفُرْسُ بِجَيْشٍ جَرَّارٍ يَبْلُغُ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفاً ، يَقُودُهُ « رُسْتُمُ » أَعْظَمُ قُوَّادِ الْفُرْسِ ، فَتَقَابَلَ الْجَيْشَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ « الْقَادِسِيَّةِ » عَلَى نَهْرِ الْفُرَاتِ ، فَانْهَزَمَتِ الْفُرْسُ شَرَّ هَزِيمَةٍ ، وَقُتِلَ أَبْطَالُهُمْ وَصَنَادِيدُهُمْ ، وَغَنِمَ الْمُسْلِمُونَ رَايَتَهُمْ وَمَا لاَ يُحْصَى مِنَ الْغَنَائِمِ ، وَزَحَفَ سَعْدٌ عَلَى عَاصِمَتِهِمْ ، فَفَرَّ مَلِكُهُمْ « كِسْرَى يَزْدَجِرْدُ » وَمَعَهُ ذَخَائِرُهُ وَنَفَائِسُ مُلْكِهِ ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ

حَاصَرُوا الْمَدِينَةَ وَدَخلُوهَا ، ثُمَّ لَحِقُوا بِكِسْرَى فَأَفْلَتَ هُوَ، وَأَدْرَكُوا حَمَلَةَ الأَمْوَالِ وَالنَّفَائِسِ فَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا .

ثُمَّ اتَّحَدَ الْفُرْسُ وَعَزَمُوا عَلَى إِخْرَاجِ الْعَرَبِ مِنْ بِلَادِهِمْ ،وَتَجَمَّعُوا فِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفاً ، فَقَابَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ بِالْقُرْبِ مِنْ « نَهَاوَنْدَ » فِي مَوْقِعَةٍ عَظِيمَةٍ ، قُتِلَ فِيهَا الْقَائِدُ الْعَرَبِيُّ « النُّعْمَانُ بْنُ مُقَرِّنٍ » فَتَوَلَّى مَكَانَهُ « حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ » وَحَمَلَ بِالْعَرَبِ حَمْلَةً صَادِقَةً ، لَمْ يَصْبِرْ أَمَامَهَا الْفُرْسُ ، فَتَقَهْقَرُوا وَأَخَذَتْهُمُ السُّيُوفُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلاَّ الْقَلِيلُ ، وَأَصْبَحَتْ بِلَادُ الْفُرْسِ وِلَايَةً إِسْلَامِيَّةً .

(٢) فَتْحُ الشَّامِ

إِسْتَمَرَّ جُنْدُ الشَّامِ فِي الزَّحْفِ بِقِيَادَةِ « أَبِي عُبَيْدَةَ » بَعْدَ انْتِصَارِهِمْ عَلَى الرُّومِ ، بِقِيَادَةِ خَالِدٍ فِي وَقْعَةِ الْيَرْمُوكِ ، فَحَاصَرُوا « دِمَشْقَ » وَدَخَلَهَا خَالِدٌ عَنْوَةً ، فَأَسْلَمَ بَطْرِيقُهَا

« تُومَا » بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا لِأَبِى عُبَيْدَةَ . ثُمَّ أَرْسَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْجُيُوشَ فَأَتَمَّتْ فَتْحَ جَمِيعِ الْمُدُنِ .

وَحَاصَرَ « عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ » بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَأَبَى بَطْرِيقُهُ التَّسْلِيمَ إلاَّ لِلْخَلِيفَةِ ، فَذَهَبَ عُمَرُ إِلَى الشَّامِ وَكَتَبَ لَهُ شُرُوطَ التَّسْلِيمِ .

(٣) فَتْحُ مِصْرَ

فَلَمَّا انْتَهَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مِنْ حِصَارِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ اسْتَأْذَنَ عُمَرَ وَهُوَ بِالشَّامِ فِى فَتْحِ مِصْرَ ، وَوَصَفَ لَهُ ثَرْوَتَهَا ، وَهَوَّنَ عَلَيْهِ أَمْرَهَا ، وَكَانَ قَدْ زَارَهَا مِنْ قَبْلُ تَاجِرًا ، فَأَذِنَ لَهُ بَعْدَ تَرَدُّدٍ ، فَجَاءَ عَمْرُو إِلَى الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَحَاصَرَ « بُلْبَيْسَ » وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ ، ثُمَّ الْتَقَى بِالرُّومِ (وَكَانُوا يَحْكُمُونَ مِصْرَ) بَعْدَ أَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ الْمَدَدُ الَّذِى أَرْسَلَهُ عُمَرُ ، عِنْدَ « عَيْنِ شَمْسٍ » فَأَحَاطَ الْعَرَبُ بِالرُّومِ فَأَفْنَوْهُمْ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إلاَّ الْقَلِيلُ ،

وَأَخذَ عَمْرٌو يفتَحُ الْبِلَادَ ، وَينْشُرُ الإِسْلَامَ ، فَلَمَّا رَأَى «الْمُقَوْقِسُ» حاَكِمُ مِصْرَ مِنْ قِبلِ الرُّوم أَنْ لاَ قُدْرَةَ لَهُ عَلَى صَدِّ الْمُسْلِمِينَ ، شَرَعَ فِي عَقْدِ الصُّلْحِ مَعَهُمْ ، عَلَى أَنْ يَدْفَعَ السُّكَّانُ فِي مِصْرَ الْجِزْيَةَ لِلْمُسْلِمِينَ كُلَّ سَنَةٍ ، وَأَنْ تُترَكَ لَهُمْ حرِّيَّتهُمُ الدِّينِيَّةُ ، وَبِذَلِكَ تمَّ فتْحُ مِصْرَ سَنَةَ إِحْدَي وَعِشْرِينَ هِجْرِيَّةً (٦٤١٠ م)

(٤) تَنْظِيمُ الْحُكُومَةِ الْاسْلَامِيَّة

كَانَ عُمَرُ أَوَّلَ مَنْ نَظَّمَ دَوَاوِينَ الْحُكُومَةِ، وَفَرَضَ الْعطَاءَ ، وَقَسَّمَ الْولَايَاتِ ، وَضَرَبَ النُّقُودَ ، وَوَضَعَ الْبَرِيدَ ، وَمَصَّرَ الْأَمْصَارَ ، فَبُنِيَتْ فِي عَهْدِهِ الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ بِالْعِرَاقِ ، وَالْفُسْطَاطُ بِمِصْرَ . وَعَيَّنَ الْقُضَاةَ ، وَبَنَى دُورَ الضِّيَافَةِ ، وَبِأَمْرِهِ حفَرَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ تُرْعَةً تَصِلُ بَيْنَ النِّيلِ وَالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ،وَمَوْضِعهَا شَارِعُ الْخَلِيجِ بِمِصْرَ الْآنَ .

مقتل عمر :

قُتِلَ رَحِمَهُ اللهُ غدْراً وهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى بالنَّاس ، طَعَنَهُ بِخَنْجَرٍ « أَبُو لُؤْلُؤَةَ الْمَجُوسِىُّ » تَنْفِيذاً لِمُؤَامَرَةٍ اتَّفَقَ عَلَيْهَا « الْهُرْمُزَانُ » عَظِيمُ الْفُرْسِ ، وَأَسِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَ « كَعْبُ الْأَحْبَارِ » الْيَهُودِىُّ الَّذِى تَظَاهَرَ بالْإِسْلَامِ ، انْتِقَاماً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِى شَخْصِ خَلِيفَتِهِمْ ، فَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ وَالْمُسْلِمُونَ فِى حَاجَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَو افْتُدِىَ مَيْتٌ لَافْتَدَتْهُ آلافُ النُّفُوسِ ، وَلَوْ خُيِّرَ الْمُسْلِمُونَ لَزَادُوا فِى عُمْرِهِ ، وَنَقَصُوا مِنْ أَعْمَارِهِمْ ، وَكَانَتْ سِنُّهُ وَقْتَ وَفَاتِهِ سِتًّا وَخَمْسِينَ سَنَةً .

أخلاقه

كَانَ عُمَرُ شَدِيداً فِى غَيْرِ قَسْوَةٍ ، يَهَابُهُ الْمُسْلِمُونَ وَيَخَافُهُ الْعَرَبُ ، وَكَانَ حَكِيماً فِى وَضْعِ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ ، وَلِذَا اسْتَقَامَ أَمْرُ الْمُسْلِمِينَ ، وَانْصَرَفُوا لِلْفَتْحِ وَنَشْرِ الدِّينِ

وكانَ ساهِراً على الرَّعِيَّةِ ، مُتَفَقِّداً لِعُمَّالِهِ ، يَجْعَلُ عَلَيْهِمُ الْعُيُونَ تَنقُلُ إِلَيْهِ أَخْبَارَهُمْ فِي مُعَامَلَةِ النَّاس ، ويَاوَيْحَ الْعَامِلِ الَّذِي يَهْفُو أَوْ يُقَصِّرُ ، فَإِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَأْتِيَهُ نَذِيرُ عُمَرَ بِالْعَزْلِ أَوِ التَّأْنِيبِ . وكانَ عادِلاً يَقْتَصُّ لِلضَّعِيفِ مِنْ الْقَوِيِّ مَهْمَا كَانَ عظِيمًا ، فَقَدِ اقْتَصَّ مِنْ عَمْرِو بنِ الْعَاصِ وَابْنِهِ ، لِلْمِصْرِيِّ الَّذِي ضَرَبَهُ ابْنُ عَمْرٍو وَهُوَ يُسَابِقُهُ .

كانَ رَحِمَهُ اللهُ ذَكِيًا ، يَسْتَشِيرُهُ النَّبِيُّ فِي كُلِّ مُهِمٍّ ، فَيُصْدِرُ الرَّأْيَ النَّاضِجَ ، وَالْحُكْمَ الْمُوَفَّقَ ، وَكَانَ مُتَوَاضِعًا يَلْبَسُ الْمُرَقَّعَ ، وَتَحْتَ يَدِهِ خَزَائِنُ كِسْرَى ، وَغَنَائِمُ الْأَقْطَارِ . وَلَا يَغْتَرُّ بِنَفْسِهِ ، وَأَحَبُّ النَّاسِ عِنْدَهُ مَنْ رَفَعَ إِلَيْهِ عُيُوبَهُ . وَكَانَ رَقِيقَ الْقَلْبِ رَحِيمًا ، يُعَاقِبُ فَيَنْدَمُ ، وَيَرَى الْمُصَابَ وَالْمُحْتَاجَ فَتَسْبِقُهُ دُمُوعُهُ ، وَيَكَادُ يَذُوبُ رِفْقًا عَلَيْهِ .

كانَ مُقْتَصِداً أَمِيناً عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، يَأْخُذُ فِي الْيَوْمِ مالا يَزِيدُ عَنْ دِرْهَمٍ ، أَيْ أَنَّ أَجْرَهُ فِي الشَّهْرِ كَانَ خَمْسَةً وَسَبْعِينَ قِرْشاً ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ يُقَسِّمُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ عَلَى الْأَجْنَادِ بِالْكَيْلِ ، وَلَوْ شَاءَ الْمَالَ وَالرَّفَاهَةَ لَوَجَدَ فِي بَيْتِ الْمَالِ مَا يُغْنِيهِ .

كَانَ عُمَرُ قُدْوَةً صَالِحَةً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَخَيْرَ مِثَالٍ يُحْتَذَى ، وَأَفْضَلَ مُؤَدِّبٍ لِلْأُمَّةِ ، فَكَانَتْ دِرَّتُهُ أَفْعَلَ مِنَ السَّيْفِ ، وَأَضْمَنَ لِنَشْرِ الْأَمْنِ مِنْ إِقَامَةِ الْمَشَانِقِ .

فَرَحِمَ اللهُ الْفَارُوقَ وَنَضَّرَ وَجْهَهُ ، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ قُدْوَةً صَالِحَةً ، وَوَفَّقَ حُكَّامَنَا إِلَى نَهْجِ سَبِيلِهِ ، وَالسَّيْرِ عَلَى خُطَاهُ ، وَأَنْشَأَ مِنْ بَنِي الْإِسْلَامِ مَنْ يَسُدُّ مَكَانَ عُمَرَ ، وَيَرْجِعُ بِهِ إِلَى سِيرَتِهِ الْأُولَى .

(٥) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ

نسبه ومولده

هُوَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الْقُرَشِيُّ الْأُمَوِيُّ ، يَجْتَمِعُ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْجَدِّ الثَّالِثِ ، وُلِدَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ عَاماً ، وَكَانَ تَاجِراً بَزَّازاً ، غَنِيًّا كَرِيماً ، مُحَبَّباً فِي قَوْمِهِ ، مَأْمُوناً عِنْدَهُمْ ، مُحْتَرَماً لَدَيْهِمْ

اسلامه وصحبته للنبى

كَانَ إِسْلَامُ عُثْمَانَ بِدَعْوَةٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ، فَلِعِلْمِهِ بِنَقَاءِ ضَمِيرِ عُثْمَانَ ، وَسَعَةِ مَدَارِكِهِ ، وَسَلَامَةِ طَبْعِهِ مِنَ الْعِنَادِ وَالْمُكَابَرَةِ ، دَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ ، وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ ، وَصَحِبَ رَسُولَ اللّٰهِ ، وَسَاعَدَهُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ عَلَى وَضْعِ أَسَاسِ الدِّينِ ، وَنَشْرِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ مُحَبَّباً إِلَى النَّبِيِّ مُكَرَّماً عِنْدَهُ ، عَزِيزاً

عَلَيْهِ، فشرَّفه بزواج بِنْتَيْهِ «رُقَيَّةَ وأمِّ كُلْثُومٍ» ، تقديراً لِحُسْن بلائه في الإسلامِ ، وإخلاصه في تأييد الدعوة ، وتحمُّله الأذى مِنْ أجل الرسول (وكان مِمَّنْ هاجَرَ إلى الحَبَشَةِ فِراراً بدينه مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ مع رُقَيَّةَ بِنْتِ رسول الله ، فلمّا هاجر النبيُّ مِنْ مكَّةَ إلى المدينةِ ، لَحِقَ به عُثْمانُ ومَنْ هاجر معه إلى الحَبَشَةِ)

ومما يُؤْثَرُ عَنْ كَرَمه العجيب ، وبَذْله في سبيل الله طائلَ الأموال ، أنه جهَّز جيش المسلمين الذي أرسله النبيُّ في غزوة «تبوك» فتبرَّع له بألف بعيرٍ . وقد حضر بعض المواقع مع النبيِّ ، وكان يستخلفه على المدينة في المشاهد التي لم يحضرها .

خلافته :

لمّا شعر عُمَرُ بدنوِّ أجله ، عهد بالخلافة إلى واحدٍ من النفر الذين مات النبيُّ وهو عنهم راضٍ ،

(وَهُمْ عَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَعَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ) وَجَعَلَ ابْنَهُ عَبْدَ اللهِ شَرِيكاً لَهُمْ فِي الرَّأْيِ لاَ فِي الْخِلاَفَةِ ، فَانْتَخَبَ الْمُسْلِمُونَ « عُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ » سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ هِجْرِيَّةً خَلِيفَةً عَلَيْهِمْ .

أعماله

(١) فَتَحَ أَرْمِينِيَا وَبِلاَدَ الْقُوقَازِ سَنَةَ ٢٦ هـ

(٢) فَتَحَ جَزِيرَةَ « قُبْرُصَ » وَجَزِيرَةَ « رُودِسَ » عَلَى يَدِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، سَنَةَ ٢٩ هـ

(٣) فِي زَمَنِـهِ فُتِحَتْ بِلاَدُ الْمَغْرِبِ وَهِيَ تُونُسُ وَالْجَزَائِرُ وَمُرَّاكِشُ

(٤) تَمَّ فَتْحُ بِلاَدِ فَارِسَ ، وَقُتِلَ يَزْدَجِرْدُ مَلِكُهَا

(٥) نَسَخَ الْقُرْآنَ فِي أَرْبَعَةِ مَصَاحِفَ أُرْسِلَتْ إِلَى الْأَمْصَارِ الْإِسْلاَمِيَّةِ .

مقتله

اِتُّهِمَ عُثْمَانُ بن عفَّانَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ بمحاباةِ أَهْلِهِ، وَتَوْلِيَتِهِمْ حُكْمَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّهُ حَادَ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ وَسُنَّةِ صَاحِبَيْهِ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِن شُذَّادِ الْعَرَبِ وَرَعَاعِهِمْ، مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَفِيهِمْ أَبْنَاءُ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، فَحَاصَرُوهُ فِي دَارِهِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ عَزْلَ أَقَارِبِهِ، أَوِ النُّزُولَ عَنِ الْخِلَافَةِ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، فَتَسَوَّرُوا عَلَيْهِ دَارَهُ وَقَتَلُوهُ سَنَةَ ٣٥ هـ وَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ٨٢ سَنَةً — وَكَانَ مَوْتُهُ سَبَبًا لِانْتِشَارِ الْفِتَنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

أخلاقه

كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَيِّنَ الْجَانِبِ سَهْلَ الْأَخْلَاقِ رَؤُوفَ الْقَلْبِ، مُحْسِنًا إِلَى الرَّعِيَّةِ، حَلِيمًا يُقَابِلُ الْإِسَاءَةَ بِالْإِحْسَانِ، وَهَذَا مَا جَرَّأَ عَلَيْهِ صَعَالِيكَ الْعَرَبِ.

وَكانَ حيِيًّا وَقُورًا فِي نفْسِهِ ، طَاهِرَ الْإِسْلَامِ ، مُتَوَاضِعاً لَمْ يَعْرِفِ الْكِبْرَ ، كَرِيمًا أَنْفَقَ جَمِيعَ مَالِهِ فِي نُصْرَةِ رَسُولِ اللهِ ، كَثِيرَ الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، فَقَدْ قُتِلَ وَهُوَ يَتْلُو فِي مُصْحَفِهِ .

فَرَحِمَ اللهُ شَيْخَ الْمُسْلِمِينَ ، وَصِهْرَ النَّبِيِّ ، وَنَضَّرَ وَجْهَ مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي عَامِ الْعُسْرَةِ ، وَأَكْرَمَ شَيْخُوخَةً انْتَهَكَ حُرْمَتَهَا الْجُهَّالُ .

(٦) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

نسبه ومولده

هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَأَبُو طَالِبٍ عَمُّ النَّبِيِّ ، وَكَافِلُهُ بَعْدَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَعَلِيٌّ ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ . وُلِدَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِتِسْعِ سِنِينَ ، أَيْ فِي عَامِ ٦٠٢ مِيلَادِيَّةً ، وَلَمَّا

كبِرَ تَكفّلَ بهِ النّبيُّ صلّى اللّٰهُ عليْهِ وَسلّمَ مُساعَدَةً لِعمّهِ أَبي طَالِبٍ. فَنَشَأَ في بَيْتِ النُّبُوّةِ ، وَسعِدَ بِعِشْرَةِ الرّسُولِ مِنْ صِباهُ ، فَلَمْ تَطُلْ أيّامُهُ فِي الْجَاهِلِيّةِ ، وَانْبَعَثَ نُورُ الْإِسْلَامِ وَعُمْرُهُ تِسْعُ سِنِينَ .

اسلامه وصحبته

كَانَ عَلِيٌّ ثَالِثَ نَفْسٍ تقَبّلَتِ الْإِسْلَامَ ، لَمْ يُسْلِمْ قَبْلَهُ غَيْرُ خدِيجَةَ وَأبي بَكْرٍ ، فَكَانَ عَلِيٌّ كَمَا قَالَ فِيهِ أُسْتَاذُنَا الْكَبِيرُ «عَبْدُ الْمُطّلِبِ» ، فِي عَلَوِيّتِهِ الْمَشْهُورَةِ :

إِمَامَ بَنِي الْهُدَى وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ
وَأَوّلَ مُسْلِمٍ صَلّى وَصَامَا

ثُمّ صَحِبَ رَسُولَ اللهِ وَلَازَمَهُ ، وَاتّخَذَهُ النّبيُّ لَهُ مُساعِداً وَوَزِيراً ، وَكَانَ لَهُ الشّرَفُ الْعَظِيمُ بِبِيَاتِهِ مَوْضِعَ الرّسُولِ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ ، حَتّى لَا يَرْتَابَ الْمُشْرِكُونَ فِي وُجُودِهِ بِبَيْتِهِ ، وَلَمّا هَاجَرَ وَبَلَغَ مَبْلَغَ الرّجَالِ ، زَوّجَهُ مِنِ ابْنَتِهِ « فَاطِمَةَ الزّهْرَاءِ » فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ

سَيِّدَىْ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَحضَرَ الْمَوَاقِعَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللهِ مَا عدَا «تبُوكَ» ، فكَانَ فتاهَا ، وَالْمُهَنَّدَ الصَّمْصَامَ فِيهاَ ، وَعقَدَ النَّبِيُّ لَهُ اللِّوَاءَ فِي فتْحِ «خَيْبَرَ» ، فنَهَضَ بهِ ، وَغرَزَ رُمْحَهُ فِي بَابِ حِصْنِ الْيَهُودِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ «مَرْحَبُ» صَاحِبُ الْحِصْنِ ، وَأَشْجَعُ أَهل خَيْبَرَ وَعَلَيْهِ مِغْفرٌ يمَانِيٌّ ، وَعَلَى رَأْسِهِ بيْضَةٌ مِنْ نُحَاسٍ ، شَاهِراً سَيْفَهُ ، يجُرُّ وَرَاءهُ رُمْحاً ذَا ثَلَاثَةِ أَسْنَانٍ ، وَنَادَى : هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ وَهُوَ يَرْتجِزُ ، فَاخْتَلَفَا بِضَرْبَتَيْنِ ، فَسَبَقَهُ عَلِيٌّ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ ، فَقَدَّ الْبَيْضَةَ وَالْمِغْفَرَ ، وَغَاصَ السَّيْفُ فِي رَأْسِهِ ، حَتى وَقَفَ عِنْدَ فَكِّهِ الْأَسْفَلِ ، فَسَقَطَ عَدَوُّ اللهِ مَيْتاً ، وَفُتِحَ الْحِصْنُ عَلَى يدَىْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْه يَكْتُبُ الْوَحْىَ لِرَسُولِ اللهِ ،

وَلمَّا لحقَ النَّبيُّ بِربِّهِ ، كَانَ علِيٌّ يرَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَحقُّ بالخِلافَةِ ، لِقَرابَتِهِ ومُصاهَرَتِهِ لِلنَّبِيِّ ، ولَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ انْتَخبُوا أَبَا بَكْرٍ لِلْخلافَةِ ، فبَايَعَ معَهُمْ بعْدَ وَفَاةِ زَوْجَتِهِ « فاطِمَةَ » ثُمَّ عَهِدَ أَبُو بَكْرٍ بالخِلافَةِ إِلَى عُمرَ ، فكَانَ علِيٌّ مُسْتَشارَهُ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَعْدَ عُمرَ صُرِفَتْ عَنْهُ الخِلافَةُ إِلَى عُثْمَانَ ، فرَضِيَ وبَايَعَ ، فلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ بُويِعَ علِيٌّ بالخِلافَةِ

خلافته

انْتُخِبَ علِيٌّ للخِلافَةِ بعْدَ مقْتلِ عُثْمَانَ بْنِ عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، سنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ هِجْرِيَّةً ، والأُمَّةُ ثائِرَةٌ ، والنَّاسُ مُخْتلِفُونَ ، والثُّوَّارُ الَّذِينَ أَرَاقُوا دمَ عُثْمَانَ يَحْتَلُّونَ الْمدِينَةَ ، ثُمَّ جاءَهُ جمَاعَةٌ مِنْ أَنْصارِ عُثْمَانَ وطَلبُوا مِنْهُ أَنْ يَقْتَصَّ مِنْ قَتَلَتِهِ ، فطَلَبَ مِنْهُمُ التَّرَيُّثَ حتَّى تَهْدَأَ الْحالُ ، فغَضِبُوا مِنْهُ ، وخَرَجُوا إِلَى الشَّامِ حيْثُ

مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حَاكِمُ الشَّامِ ، وَزَعِيمُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَالْمُطَالِبُ بِدَمِ عُثْمَانَ .

أعماله

لَمْ تَتَّسِعْ أَيَّامُ خِلَافَتِهِ لِلْفُتُوحَاتِ وَالْإِصْلَاحِ ، وَأَوَّلُ عَمَلٍ عَمِلَهُ بَعْدَ تَوْلِيَتِهِ الْخِلَافَةَ عَزْلُ جَمِيعِ الْوُلَاةِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ عُثْمَانَ ، فَبَعْضُ الْأَقْطَارِ قَبِلَ الْوُلَاةَ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمْ ، وَالْبَعْضُ رَدَّهُمْ ، وَكَانَ الشَّامُ أَوَّلَ مَنْ رَفَعَ رَايَةَ الْعِصْيَانِ ، وَامْتَنَعَ عَنْ بَيْعَةِ عَلِيٍّ ، وَاخْتَارَ مُعَاوِيَةَ أَمِيرًا عَلَيْهِ ، فَابْتَدَأَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ ، وَاضْطَرَبَ الْأَمْنُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَقَامَتِ السَّيِّدَةُ « عَائِشَةُ » زَوْجُ النَّبِيِّ تُطَالِبُ بِدَمِ عُثْمَانَ ، فَتَبِعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بِجَيْشِهِ ، فَالْتَقَى بِهِمْ عِنْدَ « الْبَصْرَةِ » وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّاعَةِ فَأَبَوْا ، وَحَدَثَتْ « مَوْقِعَةُ الْجَمَلِ » الَّتِي قُتِلَ فِيهَا أَكْثَرُ مِنْ عَشَرَةِ

آلافٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَسُمِّيَتْ كَذلِكَ لِأَنَّ السَّيِّدَةَ عَائِشَةَ كَانَتْ فِي هَوْدَجٍ فَوْقَ جَمَلٍ فِي أَثْنَاءِ الْمَوْقِعَةِ .

وَبَعْدَ انْتِصَارِ عَلِيٍّ فِي مَوْقِعَةِ الْجَمَلِ ، خَرَجَ إِلَى الشَّامِ يَطْلُبُ الْبَيْعَةَ مِنْ مُعَاوِيَةَ ، وَكَانَ قَدْ أَخَذَ الْعُدَّةَ ، وَجَمَعَ حَوْلَهُ أَهْلَ الشَّامِ ، وَانْضَمَّ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ السَّاخِطِينَ عَلَى عَلِيٍّ . فَتَقَابَلَ الْجَيْشَانِ فِي « صِفِّينَ » بَيْنَ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ ، وَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً دَامَ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، فَلَمَّا رَأَى أَهْلُ الشَّامِ أَنَّ الْهَزِيمَةَ سَتَلْحَقُهُمْ ، رَفَعُوا الْمَصَاحِفَ عَلَى الرِّمَاحِ . بِإِشَارَةِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ ، الَّذِي انْحَازَ إِلَى مُعَاوِيَةَ . فَتَهَادَنَ الْجَيْشَانَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى التَّحْكِيمِ .

وَعَادَ عَلِيٌّ بِجَيْشِهِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَمُعَاوِيَةُ بِجَيْشِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَاخْتَارَ عَلِيٌّ أَرْبَعَمِائَةِ رَجُلٍ لِلتَّحْكِيمِ ، عَلَى رَأْسِهِمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، وَاخْتَارَ مُعَاوِيَةُ أَرْبَعَمِائَةٍ أَيْضاً عَلَى رَأْسِهِمْ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، فَاتَّفَقَ الْحَكَمَانِ عَلَى عَزْلِ عَلِيٍّ

وَمُعَاوِيَةَ ، وَانْتِخَابِ خَلِيفَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِهِمَا ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ لِسَمَاعِ الْحُكْمِ ، قَدَّمَ عَمْرٌو أَبَا مُوسَى لِلْكَلَامِ أَوَّلاً ، فَأَعْلَنَ أَنَّهُ خَلَعَ عَلِيًّا وَمُعَاوِيَةَ .

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ عَمْرٌو ، فَخَلَعَ عَلِيًّا ، وَثَبَّتَ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمْ يَرْضَ أَنْصَارُ عَلِيٍّ بِهَذَا الْخِدَاعِ مِنْ جَانِبِ عَمْرٍو ، وَأَخَذَ عَلِيٌّ يُعِدُّ لِلْحَرْبِ عُدَّتَهَا ، وَلَكِنَّ ثَلَاثَةً مِنَ الْخَوَارِجِ اتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَنَجَحَ أَمْرُهُمْ فِي عَلِيٍّ ، وَخَابَ فِي مُعَاوِيَةَ وَعَمْرٍو ، فَقُتِلَ عَلِيٌّ غِيلَةً بِيَدِ « عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُلْجَمٍ » وَهُوَ يُنَادِي لِصَلَاةِ الصُّبْحِ غَلَساً بِمَسْجِدِ الْكُوفَةِ ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ هِجْرِيَّةً ، وَكَانَ عُمْرُهُ ثَلَاثاً وَسِتِّينَ سَنَةً ، فَدَفَنَهُ ابْنُهُ الْحَسَنُ خِفْيَةً وَسَتَرَ قَبْرَهُ وَقَتَلَ قَاتِلَهُ ، وَبَايَعَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ بِالْخِلَافَةِ ، فَتَنَازَلَ عَنْهَا لِمُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَشْهُرٍ ، حَقْناً لِدِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَمَّ الْأَمْرُ لِمُعَاوِيَةَ ، وَأَسَّسَ دَوْلَةَ بَنِي أُمَيَّةَ .

أخلاقه

كَانَ عَلِيٌّ شُجَاعاً ، لاَ يُبَالِي أَوَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ ، أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ ، وَأَوَّلُ مَا عُرِفَ مِنْ شَجَاعَتِهِ ، بِيَاتُهُ مَوْضِعَ رَسُولِ اللهِ لَيْلَةَ الْهِجْرَةِ وَهُوَ يَعلَمُ أَنَّ الْكُفَّارَ يَتَرَصَّدُونَهُ ، وَظُهُورُهُ فِي بَدْرٍ وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ وَالْحُرُوبِ ، وَبَلاَؤُهُ فِيهَا بَلاَءَ الْفَتَى الْمِقْدَامِ . وَكَانَ عَالِماً بِالدِّينِ لِمُلاَزَمَتِهِ لِلنَّبِيِّ مُنْذُ صِبَاهُ ، إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، فَكَانَ قَاضِيَ الْقُضَاةِ ، وَمُفْتِيَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِ دِينِهِمْ ، حَتَّى ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي سَعَةِ الْعِلْمِ .

كَانَ عَلِيٌّ خَطِيباً فَصِيحاً ، يَجْذِبُ الْأَسْمَاعَ ، وَيَأْسِرُ الْقُلُوبَ ، كَمَا كَانَ صَرِيحاً فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، يَكْرَهُ الْمَكْرَ وَالْخِدَاعَ ، وَلَعَلَّ تِلْكَ الْخَلَّةَ كَانَتْ سَبَبَ فَشَلِهِ فِي نِزَاعِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ .

كَانَ رَحِمَهُ اللهُ زَاهِداً فِي الدُّنْيَا ، مُعْرِضاً عَنْهَا ، كَثِيرَ

التَّهَجُّدِ وَالصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ ، فَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ إِلاَّ أَقَلَّهُ ، يَدْعُو رَبَّهُ ، وَيَسْتَغْفِرُ ذَنْبَهُ ، يُطِيلُ الْفِكْرَةَ ، وَيُرْسِلُ الْعَبْرَةَ ، يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ ، خَوْفًا مِنَ اللهِ ، وَطَمَعًا فِي ثَوَابِهِ وَرِضَاهُ .

فَرَحِمَ اللهُ أَبَا الْحَسَنَيْنِ ، وَزَوْجَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ ، وَشَكَرَ لَهُ صَالِحَ سَعْيِهِ فِي نَشْرِ دِينِهِ ، وَمُؤَازَرَتِهِ لِنَبِيِّهِ وَجَعَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَرَى الْحَقَّ فَيَتْبَعُهُ ، وَيُنَاضِلُ عَنْهُ وَلَوْ طُلَّ دَمُهُ .

(٧) عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ

نسبه ومولده

هُوَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ الْقُرَشِيُّ ، لَا يُعْرَفُ عَامُ وِلَادَتِهِ بِالضَّبْطِ ، وَالْأَرْجَحُ أَنَّهُ وُلِدَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ

بِعِشْرِينَ عاماً ، وَكَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ جَزَّاراً ، وَكَانَ يَحْتَرِفُ التِّجَارَةَ ، وَقَدْ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ وَمِصْرَ تَاجِراً ، وَسَبَبُ تَعَلُّقِهِ بِفَتْحِ مِصْرَ ، هُوَ ذَهَابُهُ مَرَّةً إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ ، وَعِلْمُهُ بِغِنَى الْبِلَادِ وَثَرْوَتِهَا . وَكَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ عَظِيمَةٌ عِنْدَ قُرَيْشٍ ، لِشُهْرَتِهِ بِالدَّهَاءِ وَالْمَكِيدَةِ ، حَتَّى عُدَّ مِنْ دُهَاةِ الْعَرَبِ فِى الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ

اسلامه وصحبته للنبي

جَاءَ إِسْلَامُ عَمْرٍو مُتَأَخِّراً إِلَى سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، فَقَدْ أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ ، هُوَ وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَتْ لَدَيْهِ نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ تَأَخُّرِهِ ، كَانَ مُحَبَّباً إِلَى رَسُولِ اللهِ لِثِقَتِهِ بِحُسْنِ إِسْلَامِهِ ، وَكِفَايَتِهِ فِى الْحَرْبِ .

أعماله

(١) وَلاَّهُ رَسُولُ اللهِ قَائِدًا عَلَى الْجَيْشِ فِي غَزْوَةِ « ذَاتِ السَّلَاسِلِ » ، فَانْتَصَرَ مَعَ قِلَّةِ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِمْ .

(٢) أَرْسَلَهُ النَّبِيُّ إِلَى عُمَانَ وَالِيًا عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَدَاعِيًا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَذَهَبَ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ فَآمَنُوا ، وَأَقَامَ بِهَا حَتَّى أَتَاهُ نَعِيُّ رَسُولِ اللهِ ، فَبَكَاهُ بُكَاءً طَوِيلًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَابَلَهُ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ ، الَّذِي ادَّعَى النُّبُوَّةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ، وَدَعَاهُ إِلَى اتِّبَاعِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو : وَاللهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ كَذَّابٌ . وَتَرَكَهُ وَانْصَرَفَ . وَكَانَتْ لَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُودَةٌ فِي حُرُوبِ الرِّدَّةِ . وَفَتَحَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَمِصْرَ وَطَرَابُلُسَ ، كَمَا مَرَّ فِي سِيرَةِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ

(٤) كَانَ الْيَدَ الْقَوِيَّةَ ، وَالسَّاعِدَ الْأَيْمَنَ لِمُعَاوِيَةَ

ابْنِ أَبِى سُفْيَانَ ، فِى حُرُوبِهِ مَعَ سَيِّدِنَا عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ ، وَلَوْلاَ مَكْرُهُ وَتَدْبِيرُهُ مَا انْتَصَرَ مُعَاوِيَةُ وَانْهَزَمَ عَلِىٌّ ، وَلِذَا كَافَأَهُ مُعَاوِيَةُ بِوِلاَيَةِ مِصْرَ .

أخلاقه

كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مُحِبًّا لِلإِمَارَةِ وَالسُّلْطَانِ ، طَامِحاً لِلْعُلاَ ، يَحْمِلُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ نَفْساً عَالِيَةً ، تَطْلُبُ الْجَلِيلَ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَلاَ تَعْبَأُ بِمَا يُصَادِفُهَا مِنَ الْمَصَاعِبِ ، وَلِذَا كَانَ مِقْدَاماً فِى تَحْقِيقِ مَطَامِعِهِ ، يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ ، دُخُولُهُ مِصْرَ بِجَيْشٍ لاَ يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ آلاَفٍ ، وَيَقِينُهُ بِامْتِلاَكِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ ، وَتَدْوِيخِ جُنْدِ الرُّومِ بِهَذَا الْعَدَدِ الْقَلِيلِ . وَكَانَ قَوِىَّ الْإِرَادَةِ ، صَادِقَ الْعَزِيمَةِ وَالرَّأْىِ ، فَمَا قَصَدَ غَايَةً إِلاَّ بَلَغَهَا ، وَلاَ رَامَ مَطْلَباً إِلاَّ نَالَهُ . مَشْهُوراً بِالدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ وَالسِّيَاسَةِ ، وَهُوَ مِنْ قُوَّادِ الْمُسْلِمِينَ ، الَّذِينَ

فَتَحُوا الْمَمَالِكَ ، وَنَشَرُوا الدِّينَ ، وَرَفَعُوا رَايَةَ الْإِسْلَامِ بَيْنَ رُبُوعِ الْأَقْطَارِ

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمِصْرَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ هِجْرِيَّةً وَعُمْرُهُ يَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ .

(٨) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

نسبه ومولده

هُوَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ الْأُمَوِيُّ الْقُرَشِيُّ. وَأُمُّهُ بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وُلِدَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ هِجْرِيَّةً ، بِحُلْوَانَ (ضَاحِيَةٌ مِنْ ضَوَاحِي مِصْرَ) وَأَرْسَلَهُ أَبُوهُ وَهُوَ صَغِيرٌ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، لِيَتَلَقَّى الْعِلْمَ ، عَنْ عُلَمَائِهَا وَصُلَحَائِهَا ، فَاكْتَسَبَ مِنْهُمْ حُسْنَ الْخُلُقِ ، وَمَحَبَّةَ الرَّعِيَّةِ ، وَالْعِفَّةَ عَنْ أَمْوَالِهَا ، وَالرَّأْفَةَ بِهَا ، وَأَظْهَرَ

نَجَابَةً وَذَكَاءً فِي تَعَلُّمِهِ ، حَتَّى فَاقَ أَسَاتِذَتَهُ ، وَأَصْبَحَ الْعُلَمَاءُ عِنْدَهُ تَلَامِذَةً ، وَشَهِدَ لَهُ أَحَدُ مُعَلِّمِيهِ بِقَوْلِهِ : أَتَيْنَا عُمَرَ نُعَلِّمُهُ ، فَلَمْ نَبْرَحْ حَتَّى تَعَلَّمْنَا مِنْهُ .

خلافته وأعماله

تَوَلَّى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخِلَافَةَ بِعَهْدٍ مِنْ سَلَفِهِ « سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ » سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ هِجْرِيَّةً ، وَلَمْ يَحْدُثْ فِي عَهْدِهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَوَادِثِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ الْخَطِيرَةِ ، فَانْصَرَفَ إِلَى إِقَامَةِ الْعَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ ، وَمُرَاقَبَةِ الْوُلَاةِ وَالْحُكَّامِ ، وَمُحَاسَبَتِهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَانْتَشَرَ الْعَدْلُ ، وَسَادَ الْأَمْنُ ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ .

وَبَلَغَتْ سِيرَتُهُ الطَّيِّبَةُ الْمَمَالِكَ الْمُجَاوِرَةَ فَأُعْجِبُوا بِهَا حَتَّى أَنَّهُ لَمَّا كَتَبَ إِلَى مُلُوكِ السِّنْدِ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، أَجَابُوا دَعْوَتَهُ وَأَسْلَمُوا ، وَتَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْعَرَبِ

وَمَاتَ رَحِمَهُ اللهُ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَةٍ هِجْرِيَّةٍ وَسِنُّهُ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، فَكَانَ أَعْدَلَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

أخلاقه

كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ نَادِرَةَ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا وَخُلُقًا ، وَمَثَلًا لِلْحُكَّامِ الصَّالِحِينَ ، يَسِيرُ فِي الرَّعِيَّةِ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَيَقْتَدِي بِجَدِّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي زُهْدِهِ وَتَقَشُّفِهِ ، وَحِرْصِهِ عَلَى أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ لَا يَأْخُذُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ دِرْهَمَيْنِ فِي الْيَوْمِ .

وَكَانَ مُتَوَاضِعًا يَكْرَهُ الْكِبْرِيَاءَ ، وَمَظَاهِرَ الْمُلْكِ ، حَتَّى أَنَّهُ لَمَّا تَمَّتْ بَيْعَتُهُ ، وَجِيءَ لَهُ بِمَرَاكِبِ الْخِلَافَةِ ، أَمَرَ بِبَيْعِهَا وَرَدِّ ثَمَنِهَا إِلَى بَيْتِ الْمَالِ ، وَقَالَ : دَابَّتِي أَوْفَقُ لِي . وَانْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَذْهَبْ إِلَى قَصْرِ الْخِلَافَةِ فِي يَوْمِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ بَيْتَهُ قَالَ لِامْرَأَتِهِ : إِنْ أَرَدْتِ صُحْبَتِي فَرُدِّي

مَا مَعكَ مِنْ مَالٍ وَجوْهَرٍ إِلَى بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّهُ لَهُمْ ، فَرَدَّتْهُ جَمِيعَهُ. فَلَمَّا وَلِيَ أَخُوهَا يَزِيدُ الْخِلافَةَ ، وَأَرَادَ رَدَّهُ عَلَيْهَا امْتَنَعَتْ مِنْ أَخْذِهِ ، وَقَالَتْ : مَا كُنْتُ أُطِيعُهُ حَيًّا ، وَأَعْصِيهِ مَيْتًا .

كَانَ رَحِمَهُ اللّٰهُ مُحِبًّا لِلعَدْلِ ، رَفِيقًا بِالْأُمَّةِ ، مَيَّالاً إِلَى جَمْعِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَاتِّحَادِهِمْ ، يَكْرَهُ الْحَرْبَ وإِرَاقَةَ الدِّمَاءِ ، وَيَرُدُّ الْمَظَالِمَ إِلَى أَهْلِهَا مَهْمَا طَالَ عَلَيْهَا الزَّمَنُ ، وَيَسْمَعُ شِكَايَاتِ الرَّعِيَّةِ بِنَفْسِهِ ، وَيَنْتَصِفُ لِلْضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَكَانَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا ، لاَ يَمْلِكُ غَيْرَ قَمِيصٍ وَاحِدٍ ، وَلاَ يُجَالِسُ إِلاَّ الْعُلَمَاءَ وَأَهْلَ الْفَضْلِ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَالْحُكَّامِ الَّذِينَ لاَ يَسْمَحُ بِهِمُ الدَّهْرُ كَثِيراً ، وَقَدْ خَلَقَهُ اللّٰهُ لِيُجَدِّدَ لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَ دِينِهِمْ ، وَيُحْيِي فِيهِمْ سِيرَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ .

(٩) أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَأْمُونُ

نسبه ومولده

هُوَ عَبْدُ اللهِ الْمَأْمُونُ بْنُ هَرُونَ الرَّشِيدِ بْنِ الْمَهْدِيِّ ابْنِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . وُلِدَ سَنَةَ سَبْعِينَ وَمِائَةٍ هِجْرِيَّةٍ ، فِي السَّنَةِ الَّتِي تَوَلَّى فِيهَا أَبُوهُ الْخِلَافَةَ ، فَسُرَّ بِهِ سُرُوراً عَظِيماً ، وَسَمَّاهُ « الْمَأْمُونَ » تَيَمُّناً بِذَلِكَ ، وَأُمُّهُ فَارِسِيَّةٌ ، تَنْتَمِي إِلَى أُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ فِي الْمَجْدِ

نشأته

نَشَأَ الْمَأْمُونُ فِي بَيْتِ الْخِلَافَةِ ، وَتَهَيَّأَتْ لَهُ وَسَائِلُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّثْقِيفِ ، فَوَكَلَ الرَّشِيدُ بِهِ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَزِيرَهُ ، لِيَنْظُرَ فِي شُئُونِهِ وَيُرَاقِبَ أَحْوَالَهُ ، وَأَحْضَرَ لَهُ

الْمُؤَدِّبِينَ وَالْعُلَمَاءِ لِتَعْلِيمِهِ ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَخَايِلُ النَّجَابَةِ وَالذَّكَاءِ ، وَبُعْدِ الْهِمَّةِ ، وَالتَّعَالِى بِنَفْسِهِ عَنْ سَفْسَافِ الْأُمُورِ ، وَكَانَ يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ وَيُقَدِّرُهَا ، وَيَشْعُرُ أَنَّهُ أَمِيرٌ وَابْنُ خَلِيفَةٍ ، فَأَجَلَّهُ النَّاسُ وَاحْتَرَمُوهُ ، وَعَرَفُوا لَهُ مَا يَجِبُ مِنَ التَّحِيَّةِ وَحُسْنِ الْخِطَابِ .

هَذِهِ الصِّفَاتُ حَبَّبَتْهُ إِلَى أَبِيهِ ، فَجَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ أَخِيهِ الْأَمِينِ .

النزاع بين المأمون والأمين

كَانَ الْأَمِينُ ابْنَ السَّيِّدَةِ «زُبَيْدَةَ» الْأَمِيرَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَكَانَ الْمَأْمُونُ ابْنَ « مَرَاجِلَ » الْفَارِسِيَّةِ الْجَارِيَةِ ، الَّتِى بِيعَتْ إِلَى الرَّشِيدِ بَيْعَ الرَّقِيقِ ، وَكَانَ الْمَأْمُونُ أَشْجَعَ وَأَذْكَى ، وَأَحَبَّ إِلَى أَبِيهِ مِنَ الْأَمِينِ ، وَلَوْلَا مَكَانَةُ « زُبَيْدَةَ » لَدَى الرَّشِيدِ ، وَسَعْىُ أَخْوَالِ الْأَمِينِ فِى أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا لِلْخِلَافَةِ بَعْدَهُ ، لَجَعَلَ الرَّشِيدُ الْمَأْمُونَ وَلِىَّ عَهْدِهِ ، وَفَضَّلَهُ عَلَى الْأَمِينِ .

احترم المأمون وصية أبيه ، ورضى أن يكون وليًّا للعهد بعد أخيه . فلمّا مات الرشيد سنة ١٩٣ هجرية وتولّى الأمين الخلافة بعده ، طمع في نقل ولاية العهد من أخيه المأمون إلى ابنه « موسى » فأرسل إليه الرسل ، (وكان المأمون واليًا على خراسان ونواحيها ، على عهد أبيه وبعد وفاته) فأبى المأمون التنازل عن ولاية العهد ، فأعلن عليه الأمين الحرب ، وساق الجيوش على « خراسان » ، فانتصر عليها المأمون ، وطاردت جيوشه جيش الأمين حتّى حاصرت « بغداد » حاضرة الخلافة ، واستولت عليها ، وقتلت الأمين سنة ١٩٨ هجرية ، فتولّى المأمون عرش الخلافة

خلافته وأعماله

بويع المأمون بالخلافة بعد قتل أخيه الأمين ، وكانت سنّه ثمانية وعشرين عامًا ، فهدأ الفتن والثورات

الَّتِى نَشَأَتْ عَنِ الْحَرْبِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ ، وَعَفَا عَنِ الثَّائِرِينَ وَالْخَارِجِينَ عَلَيْهِ ، فَاسْتَقَامَتِ الْحَالُ ، وَانْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى أَعْمَالِهِمْ ، فَكَانَ عَهْدُهُ أَزْهَى عُصُورِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، بَلْ أَزْهَى عُصُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، فَقَدِ ارْتَقَتْ فِى عَهْدِهِ الصِّنَاعَةُ ، وَانْتَشَرَتِ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ ، وَتَرْجَمَ الْمُسْلِمُونَ الْكُتُبَ الْفَارِسِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، فَازْدَادَتْ مَعَارِفُهُمْ ، وَأَصْبَحُوا أَرْقَى شُعُوبِ الْأَرْضِ عِلْماً وَحَضَارَةً . وَمَاتَ الْمَأْمُونُ سَنَةَ ٢١٨ هِجْرِيَّةً وَعُمْرُهُ ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً

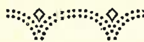
أخلاقه

كَانَ الْمَأْمُونُ حَاذِقاً شُجَاعاً ، فَطِناً ذَكِيًّا ، عَالِماً جَوَاداً حَكِيماً حَلِيماً ، حَسَنَ التَّدْبِيرِ ، بَعِيدَ النَّظَرِ ، سَائِساً خَطِيراً ، مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ ، شَغُوفاً بِنَشْرِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ بَيْنَ الْأُمَّةِ .

وَكَانَ رَحِمَهُ اللهُ إِدَارِيًّا حَازِمًا ، يُحِبُّ الإِصْلاَحَ ، وَتَنْظِيمَ الْحُكُومَةِ ، فَقَدْ أَصْلَحَ مِقْيَاسَ النِّيلِ لَمَّا قَدِمَ مِصْرَ لِإِخْمَادِ ثَوْرَتِهَا . وَكَانَ مُوَفَّقًا فِي اخْتِيَارِ حَاشِيَتِهِ وَوُزَرَائِهِ ، فَنَبَغَ فِي عَصْرِهِ أَعَاظِمُ الْوُزَرَاءِ وَالْقُوَّادِ وَالْحُكَّامِ . وَسَادَ الأَمْنُ وَعَمَّ الرَّخَاءُ .

كَانَ الْمَأْمُونُ رَجُلاً مُتَدَيِّنًا . يُحِبُّ الدِّينَ وَالْبَحْثَ فِيهِ ، وَيَعْمَلُ عَلَى نَشْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ . فَفِي عَهْدِهِ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْ أَقْبَاطِ مِصْرَ ، وَانْتَشَرَ الإِسْلاَمُ فِي بِلاَدِ النُّوبَةِ وَالسُّودَانِ .

وَبِالْجُمْلَةِ كَانَ الْمَأْمُونُ رَحِمَهُ اللهُ زَعِيمَ النَّهْضَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَكَانَ عَهْدُهُ الْعَصْرَ الذَّهَبِيَّ لِلإِسْلاَمِ .



(١٠) السُّلْطَانُ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِىُّ

نسبه ومولده

هُوَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ بْنِ شَادِى، الْكُرْدِىُّ ، وُلِدَ سَنَةَ ٥٣٢ هِجْرِيَّةً ، فِى «دِمَشْقَ» وَهُوَ رَجُلٌ عِصَامِىٌّ ، لَمْ يَرِثِ الْمُلْكَ عَنْ أَبٍ أَوْ جَدٍّ ، فَجَدُّهُ «شَادِىٌّ» رَجُلٌ كُرْدِىٌّ مِنْ عَامَّةِ النَّاسِ ، نَزَحَ بِوَلَدَيْهِ «نَجْمِ الدِّينِ ، وَأَسَدِ الدِّينِ» إِلَى «بَغْدَادَ» وَبَعْدَ مَوْتِهِ رَحَلَ وَلَدَاهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَدَخَلَا فِى خِدْمَةِ صَاحِبِهَا .

فَصَلَاحُ الدِّينِ كَوَّنَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ ، وَبَنَى مَجْدَهُ بِيَدِهِ وَنَسَجَ بُرْدَةَ فَخْرِهِ بِسَيْفِهِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى مِصْرَ بِمَضَاءِ عَزِيمَتِهِ .

نشأته

نَشَأَ صَلَاحُ الدِّينِ بِدِمَشْقَ ، وَكَانَ أَبُوهُ فِى خِدْمَةِ

صَاحِبِهَا « نُورِ الدِّينِ » فَلَمَّا تَرَعْرَعَ وَصَارَ فَتىً فِي السَّادِسَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ ، دَخَلَ فِي خِدْمَةِ « نُورِ الدِّينِ » مَعَ أَبِيهِ وَعَمِّهِ ، وَكَانَتْ مَخَايِلُ النَّجَابَةِ ظَاهِرَةً عَلَيْهِ ، فَقَرَّبَهُ نُورُ الدِّينِ إِلَيْهِ ، وَجَعَلَهُ مِنْ قُوَّادِ جَيْشِهِ .

قدوم صلاح الدين الى مصر

فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ ضَعُفَ الْخُلَفَاءُ الْفَاطِمِيُّونَ وَاسْتَبَدَّ وُزَرَاؤُهُمْ بِالْحُكْمِ ، فَكَانُوا يَسْتَعِينُونَ بِالدُّوَلِ الْأَجْنَبِيَّةِ لِتَحْقِيقِ مَطَامِعِهِمْ فِي رِيَاسَةِ الْوِزَارَةِ ، وَقَدْ حَدَثَ نِزَاعٌ كَبِيرٌ بِشَأْنِ تَقَلُّدِ الْوِزَارَةِ ، أَفْضَى أَخِيرًا إِلَى انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ . وَذَلِكَ أَنَّ « شَاوَرَ » وَ « ضِرْغَاماً » تَنَازَعَا الْوِزَارَةَ . فَاسْتَعَانَ « شَاوَرُ » بِنُورِ الدِّينِ صَاحِبِ دِمَشْقَ وَالشَّامِ . وَاسْتَعَانَ « ضِرْغَامٌ » بِالصَّلِيبِيِّينَ الْمَسِيحِيِّينَ ، الَّذِينَ احْتَلُّوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ . فَدَخَلَتْ جُيُوشُ « نُورِ الدِّينِ » مِصْرَ بِقِيَادَةِ « أَسَدِ الدِّينِ »

وَمَعَهُ «صَلاحُ الدِّينِ يُوسُفُ» ابْنُ أَخِيهِ فَهُزِمَ «ضِرْغَامٌ» وَقُتِلَ ، وَرَجَعَتْ جُيُوشُ «نُورِ الدِّينِ» إِلَى دِمَشْقَ . ثُمَّ انْقَلَبَ «شَاوَرُ» عَلَى أَنْصَارِهِ ، وَاسْتَعَانَ بِالصَّلِيبِيِّينَ ، حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ بِدُخُولِ «أَسَدِ الدِّينِ» مِصْرَ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ، فَهَزَمَ الصَّلِيبِيِّينَ ، وَاتَّفَقَ مَعَ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ عَلَى قَتْلِ «شَاوَرَ» وَتَوَلَّى رِيَاسَةَ الْوِزَارَةِ بِمِصْرَ ، وَلَمْ يَعِشْ طَوِيلاً ، وَتُوُفِّيَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ ، فَخَلَفَهُ فِي الْوِزَارَةِ ابْنُ أَخِيهِ «صَلاحُ الدِّينِ» فَكَفَّ يَدَ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ عَنْ شُئُونِ الْمُلْكِ ، حَتَّى مَاتَ سَنَةَ ٥٦٧ هِجْرِيَّةً ، فَاسْتَوْلَى «صَلاحُ الدِّينِ» عَلَى مِصْرَ مَعَ تَابِعِيَّتِهِ لِنُورِ الدِّينِ تَابِعِيَّةً اسْمِيَّةً

سلطنته وأعماله

اسْتَوْلَى «صَلاحُ الدِّينِ» عَلَى مِصْرَ بَعْدَ مَوْتِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ ، وَعَزَمَ عَلَى تَأْسِيسِ دَوْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ بِمِصْرَ ، فَأَخْمَدَ الثَّوْرَاتِ الَّتِي قَامَتْ ، وَعَزَلَ مَنْ يَخَافُهُمْ مِنَ

الْمُتَشَيِّعِينَ « لِلْعَاضِدِ » آخِرِ الْفَاطِمِيِّينَ ، وَرَدَّ إِغَارَةَ الصَّلِيبِيِّينَ عَلَى دُمْيَاطَ ، وَأَخَذَ يُحَصِّنُ الْقَاهِرَةَ ، فَبَنَى قَلْعَتَهَا الْمَشْهُورَةَ الْآنَ ، وَأَحَاطَهَا بِسُورٍ عَظِيمٍ ، وَفَتَحَ السُّودَانَ وَبِلَادَ الْيَمَنِ وَالْحِجَازَ ، وَلَمَّا مَاتَ « نُورُ الدِّينِ » عَمَدَ إِلَى بَسْطِ نُفُوذِهِ وَتَكْوِينِ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَظِيمَةٍ ، تَطْرُدُ الصَّلِيبِيِّينَ مِنَ الشَّرْقِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَجَمِيعِ بِلَادِ الشَّامِ ، ثُمَّ قَضَى سِتَّ سِنِينَ فِي ضَبْطِ أَمْلَاكِهِ ، وَتَحْصِينِ الْقَاهِرَةِ وَتَوْحِيدِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى طَرْدِ الصَّلِيبِيِّينَ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ .

وَلَمَّا تَمَّ لَهُ مَا أَرَادَ ، قَامَ لِلْأَخْذِ بِنَاصِرِ الدِّينِ ، وَأَعْلَنَ الْحَرْبَ عَلَى الصَّلِيبِيِّينَ ، فَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ خَمْسَ سَنَوَاتٍ ، وَاكْتَسَحَ « صَلَاحُ الدِّينِ » فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَهُ ، فَقَهَرَ إِمَارَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا

وَطَرَدَ الصَّلِيبِيِّينَ مِنْهَا ، بَعْدَ دَفْعِ الْفِدْيَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ إِلاَّ بَعْضُ الثُّغُورِ عَلَى سَاحِلِ الشَّامِ .

وَبَعْدَ هَـذِهِ الْحُرُوبِ الطَّوِيلَةِ ، الَّتِي دَامَتْ خَمْسَ سَنَوَاتٍ مَاتَ « صَلاَحُ الدِّينِ » سنة ٥٨٩ هِجْرِيَّة وَعُمْرُهُ سَبْعٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً

أخلاقه

كَانَ « صَلاَحُ الدِّين » قَائِدًا عَظِيمًا ، وَسَائِسًا مُحَنَّكًا ، جَمَعَ بَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْمَرُوءَةِ وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ، وَبَيْنَ الشِّدَّةِ وَالتَّوَاضُعِ وَالتَّقْوَى وَالزُّهْدِ وَالصَّلاَحِ ، وَكَانَ الْفِرِنْجُ يُعْجَبُونَ بِأَخْلاَقِهِ ، وَيَعُدُّونَهُ مِثَالَ الشَّهَامَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَفِى مُقَدِّمَتِهِمْ مَلِكُ الإِنجِلِيزِ ، « رِيكَارْدْ » الْمُلَقَّبُ بِقَلْبِ الأَسَدِ .

كَانَ رَحِمَهُ اللهُ مُتَحَمِّسًا لِدِينِهِ ، مُجَاهِدًا فِى سَبِيلِ اللهِ ،

فَلَوْلَا بَلَاؤُهُ فِي حُرُوبِ الصَّلِيبِيِّينَ ، لَتَوَغَّلُوا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَذَاقُوهُمْ مُرَّ الْعَذَابِ .

تَرَكَ «صَلَاحُ الدِّينِ» الدُّنْيَا ، وَتَارِيخُهُ يَمْلأُ أَنْحَاءَهَا ، وَذِكْرُهُ يُعَطِّرُ أَرْجَاءَهَا ، وَالدِّينُ يَشْكُرُ لَهُ صَالِحَ سَعْيِهِ فِي نُصْرَتِهِ ، وَإِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ ، فَنَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ .



(حـ) العَادَاتُ الْمُسْتَهْجَنَةُ وَالْخُرَافَاتُ الشَّائِعَةُ

تَنْتَشِرُ الْعَادَاتُ الْمُسْتَقْبَحَةُ . وَالْخُرَافَاتُ الْمَذْمُومَةُ فِي الْأُمَّةِ تَبَعاً لِانْتِشَارِ الْجَهْلِ فِيهَا ، لِأَنَّ الْعُقُولَ الْجَاهِلَةَ سَرِيعَةُ التَّصْدِيقِ وَالانْقِيَادِ . وَقَدِ ابْتُلِيَ الْإِسْلَامُ بِقَوْمٍ دَسُّوا فِيهِ كَثِيراً مِنَ الْخُرَافَاتِ ، وَاسْتَحْدَثُوا فِيهِ بِدَعاً لَمْ تَكُنْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ، وَلَا عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَاعْتَقَدَتِ الْعَامَّةُ صِحَّتَهَا ، وَجَارَاهُمْ فِيهَا الْخَاصَّةُ ، وَمَنْ يَدَّعُونَ الْعِلْمَ ، طَمَعاً فِي النُّفُوذِ ، وَجَرّاً لِلْمَغَانِمِ ، وَمِنَ الْعَادَاتِ الْمَذْمُومَةِ ، وَالْخُرَافَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي مِصْرَ مَا يَأْتِي :

(١) تَشْيِيعُ الْجَنَائِزِ

حَثَّنَا الدِّينُ عَلَى تَشْيِيعِ الْجَنَائِزِ ، لِإِظْهَارِ التَّكَافُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَلِلْعِظَةِ وَالِاعْتِبَارِ ، وَقَدْ اسْتَحْسَنَ الشَّرْعُ أَنْ يَكُونَ الْمَشْيُ وَرَاءَ الْمَيِّتِ ، لِتَكُونَ الْعِظَةُ أَبْلَغَ ، وَالتَّأْثِيرُ أَشَدَّ ، فَيَذْكُرُ كُلُّ مُشَيِّعٍ يَوْمَهُ ، يَوْمَ يُحْمَلُ عَلَى تِلْكَ الْآلَةِ الْحَدْبَاءِ ، وَيُغَيَّبُ فِي لَحْدِهِ ، وَيَضُمُّهُ الْقَبْرُ ضَمَّةً تَتَدَاخَلُ بِهَا أَضْلَاعُهُ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ ، فَيَنْدَمُ عَلَى مَا فَعَلَ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَيَسْتَعِدُّ لِلِقَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ يَفْعَلُونَ عِنْدَ تَشْيِيعِ الْجَنَائِزِ مَا يَأْبَاهُ الدِّينُ ، وَيَنْفِرُ مِنْهُ الْعَقْلُ السَّلِيمُ ، فَيُحْضِرُونَ فِرْقَةَ الْمُوسِيقَى ، وَحَمَلَةَ الْمَبَاخِرِ ، وَطَائِفَةَ « الْمَوْلَوِيَّةِ » وَبَعْضَ الْجُنْدِ شَاكِي السِّلَاحِ ، وَيَسِيرُونَ أَمَامَ الْمَيِّتِ وَوَرَاءَهُ بِلَا نِظَامٍ يَتَحَادَثُونَ ،

وَيَضْحَكُونَ وَلَا يَبْكُونَ ، وَيَتَذَاكَرُونَ أَحْوَالَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ ، فَلَا عِظَةَ وَلَا اعْتِبَارَ ، وَلَا رَهْبَةَ وَلَا خَوْفَ مِنْ جَلَالِ الْمَوْتِ ، وَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ بَعِيدُونَ عَنِ الدِّينِ ، مُخَالِفُونَ لِمَا أَمَرَ بِهِ . وَمِنْ أَقْبَحِ مَا يُشَاهَدُ فِي تَشْيِيعِ الْجَنَائِزِ عِنْدَنَا خُرُوجُ النِّسَاءِ وَرَاءَ الْمَيِّتِ ، صَائِحَاتٍ نَائِحَاتٍ ، مُلَطِّخَاتٍ وُجُوهَهُنَّ بِالصِّبْغِ أَوِ الطِّينِ ، دَاعِيَاتٍ بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى النِّسَاءَ عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ

(٢) إِقَامَةُ الْمَآتِمِ

وَبَعْدَ تَشْيِيعِ الْمَيِّتِ يَرْجِعُ أَهْلُهُ فَيَنْصِبُونَ سُرَادِقًا فَخْمًا ، يُفْرَشُ بِفَاخِرِ الْبُسُطِ ، وَتُرَصُّ فِيهِ الْكَرَاسِيُّ الْمُذَهَّبَةُ ، وَيُنَارُ بِمُخْتَلِفِ الثُّرَيَّاتِ ، فَلَا يَشُكُّ مَنْ يَرَاهُ

وهو يجهل الخبر ، فى أنه سرادق أقيم لحفلة عرس ، ولا يميزه إلا بالفقيه يقرأ القرآن .

هذه النفقات فى المآتم ليست بالهينة السهلة ، فأقل مأتم تزيد نفقاته عن خمسين جنيها ، فما بالك بمآتم الأغنياء الذين يغالون فى زخرفة السرادق ، وإحضار أشهر المقرئين ، وذبح الذبائح أمام النعش ، وفى ليالى المآتم ، ولو حفظت هذه النفقات لأولاد الميت الصغار ، لسدت جزءا من نفقاتهم ، ووجدوها وقت حاجتهم . ولكن المصريين يأبون إلا التقليد وخراب البيوت ، فيجعلون الخطب خطبين ، فقدا للميت ، وغرامة فى المال .

فاعلم أيها الناشئ أن الدين ينهى عن كل ذلك ، وأن النبى كان يتقبل العزاء على قبر الميت ، ثم ينصرف كل إلى عمله ، فكل ما يفعله المصريون فى المآتم ليس من الدين فى شىء .

(٣) زِيارَةُ القُبُورِ

الْغَرَضُ مِنْهَا العِظَةُ وَالاِعْتِبَارُ ، وَهِيَ لِلرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ ، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَزُورُ قُبُورَ أَهْلِ الْبَقِيعِ ، وَشُهَدَاءِ أُحُدٍ وَيَقُولُ : « السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ » ثُمَّ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ وَيَنْصَرِفُ . هَذِهِ الزِّيَارَةُ هِيَ الْمَطْلُوبَةُ فِي الدِّينِ ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَلاَ سِيَّمَا أَهْلَ مِصْرَ بَالَغُوا فِيهَا جِدَّ مُبَالَغَةٍ ، وَغَلَبَ النِّسَاءُ فِيهَا الرِّجَالَ ، وَأَصْبَحَتْ زِيَارَةُ الْقُبُورِ فِي أَيَّامِ الْجُمَعِ وَالْآحَادِ ، وَفِي الْأَعْيَادِ وَشَهْرِ رَجَبٍ مِنْ أَقْدَسِ الْوَاجِبَاتِ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي ذَلِكَ عُيِّرَ فِي الْحَيِّ ، وَاتُّهِمَ فِي وَفَائِهِ لِذَوِي قُرْبَاهُ .

وَلَيْتَ الْخَطْبَ وَقَفَ عِنْدَ الزِّيَارَةِ فَحَسْبُ . وَلَكِنَّ النِّسَاءَ تَجَاوَزْنَ كُلَّ حَدٍّ ، وَصِرْنَ يَذْهَبْنَ إِلَى الْمَقَابِرِ

وَيَبِتْنَ فِيهَا اللَّيَالِيَ وَيَمْكُثْنَ الأَيَّامَ ، كَأَنَّهُنَّ فِي مَصِيف أَوْ مَشْتَاةٍ ، فَتَنْقَلِبُ الْعِظَةُ اسْتِهْتَاراً ، وَتُدَاسُ الْقُبُورُ ، وَتُنْتَهَكُ حُرْمَةُ الأَمْوَاتِ ، ثُمَّ يَرْجِعْنَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ فِيهِنَّ « مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ »

وَقَدْ أَصْدَرَتِ الْحُكُومَةُ قَانُوناً بِمَنْعِ النِّسَاءِ مِنَ الْمَبِيتِ فِي الْجَبَّانَاتِ ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنَ النِّسَاءِ يَتَمَكَّنَّ مِنَ الْبَيَاتِ فِيهَا خِلْسَةً بِرِشْوَةِ الْخُفَرَاءِ .

فَأَنْصَحُ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ أُمَّكَ وَأَقَارِبَكَ عَنِ الْمَبِيتِ فِي الْمَقَابِرِ ، وَبَيِّنْ لَهُنَّ ضَرَرَ ذَلِكَ ، حَتَّى تَنَالَ رِضَاءَ اللهِ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اتِّبَاعِ الدِّينِ ، وَتُسَاعِدَ الْحُكُومَةَ عَلَى تَنْفِيذِ قَانُونِ الْجَبَّانَاتِ .

(٤) زِيَارَةُ الأَوْلِيَاءِ

إِنْ كَانَ الْغَرَضُ مِنْ زِيَارَتِهَا الْعِظَةَ وَالاِعْتِبَارَ ، كَمَا فِي زِيَارَةِ قُبُورِ الْمَوْتَى فَلاَ بَأْسَ ، وَأَمَّا إِنْ كَانَ الْغَرَضُ

مِنْهَا التَّوَسُّلَ بِالْعِظَامِ الَّتِي فِيهَا إِلَى قَضَاءِ حَاجَةٍ ، أَوْ تَفْرِيجِ كَرْبٍ ، أَوْ شِفَاءِ مَرَضٍ ، أَوْ كَسْبِ قَضِيَّةٍ ، فَذَلِكَ زَيْغٌ عَنِ الدِّينِ ، وَكُفْرٌ بِاللهِ .

فَكُلُّ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الَّذِينَ تَرَاهُمْ يَتَزَاحَمُونَ عَلَى ضَرِيحِ السَّيِّدَةِ « زَيْنَبَ » وَضَرِيحِ « الْحُسَيْنِ » وَضَرِيحِ « السَّيِّدِ الْبَدَوِيِّ » وَغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ، يُقَبِّلُونَ الْأَعْتَابَ ، وَيَلْثِمُونَ مَا عَلَى الْأَضْرِحَةِ مِنَ الْحَدِيدِ وَالنُّحَاسِ ، وَيَكْتَحِلُونَ بِتُرَابِهَا ، وَيَنْذُرُونَ لَهُمُ النُّذُرَ ، إِنَّمَا يَدْعُونَ غَيْرَ اللهِ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عُبَّادِ الْأَصْنَامِ

فَزُرْ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ الْأَضْرِحَةَ ، كَمَا تَزُورُ قُبُورَ أَمْوَاتِكَ لِلْعِظَةِ وَالِاعْتِبَارِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَدْعُوَ وَلِيًّا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ لِيُنَجِّحَكَ فِي الِامْتِحَانِ ، أَوْ لِيُفَرِّجَ عَنْكَ كُرْبَةً ، لِأَنَّكَ تَدْعُو غَيْرَ مُجِيبٍ ، وَتُشْرِكُ مَعَ اللهِ عِظَامًا نَخِرَةً ، وَمَخْلُوقًا قَدْ تَكُونُ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلَ مِنْهُ . وَادْعُ اللهَ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ

يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ، وَيُفَرِّجُ كُرْبَةَ الْمَلْهُوفِ ، وَهُوَ الَّذِي يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ ، وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(٥) الْمَوَالِدُ

مِنْ أَشَدِّ الْعَادَاتِ الْمُسْتَقْبَحَةِ إِضْرَارًا بِالْأَخْلَاقِ وَالصِّحَّةِ الْعَامَّةِ ، وَقَدْ وُجِدَتْ فِي الْعُصُورِ الْمُتَأَخِّرَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَحَضَّ عَلَيْهَا خَدَمَةُ الْأَضْرِحَةِ وَمَشَايِخُهَا ، لِأَنَّهَا تَدُرُّ عَلَيْهِمُ الْخَيْرَاتِ ، وَتَمْلَأُ صَنَادِيقَ النُّذُرِ ، فَيَسْلُبُونَ نُقُودَ الْفُقَرَاءِ وَالْجُهَّالِ ، وَيَخْتَلِسُونَ أَرْزَاقَ الْعَامَّةِ .

فَإِيَّاكَ أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّجِيبُ أَنْ تَضَعَ قِرْشًا فِي صُنْدُوقٍ مِنْ صَنَادِيقِ هَذِهِ الْأَضْرِحَةِ ، لِأَنَّكَ تُحْسِنُ عَلَى غَيْرِ مُسْتَحِقٍّ ، وَتَتَصَدَّقُ عَلَى مُوَظَّفِينَ وَأَثْرِيَاءَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْإِحْسَانَ فَابْعَثْ بِمَا تَجُودُ بِهِ نَفْسُكَ إِلَى الْجَمْعِيَّاتِ

الْإِسْلَامِيَّةِ الْخَيْرِيَّةِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ فِي مِصْرَ، تَقُومُ بِتَعْلِيمِ الْفُقَرَاءِ، وَكَفَالَةِ الْأَيْتَامِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَوَالِدَ بِدْعَةٌ مُضِرَّةٌ بِالْأَخْلَاقِ وَالصِّحَّةِ، فَفِيهَا يَخْتَلِطُ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَالْأَصِحَّاءُ بِالْمَرْضَى، فَتَنْتَشِرُ الْعَدْوَى، وَتَكْثُرُ الْأَمْرَاضُ، فَلَا تَخْرُجْ إِلَيْهَا، وَلَا تَأْكُلِ الْحَلْوَى وَالْأَطْعِمَةَ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا، وَامْنَعْ مَنْ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَهْلِكَ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهَا.

(٦) قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِالطُّرُقِ

هَـذِهِ الْعَادَةُ السَّيِّئَةُ مُنْتَشِرَةٌ بِالْمُدُنِ الْكُبْرَى، كَالْقَاهِرَةِ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعَوَاصِمِ، وَقَدِ اتَّخَذَهَا فَرِيقٌ مِنَ الشَّحَّاذِينَ حِرْفَةً رَابِحَةً، فَتَرَاهُمْ فِي الْأَزِقَّةِ وَالشَّوَارِعِ، يَقْرَؤُنَ الْقُرْآنَ بِصَوْتٍ مُنْكَرٍ، وَلَحْنٍ فَظِيعٍ، لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ أُمِّيٌّ حَفِظَ سُورَةً أَوْ بَعْضَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ كَيْفَمَا اتَّفَقَ.

فَإِذَا كُنْتَ أَيُّهَا التِّلْمِيذُ مُؤْمِناً حقًّا ، تحترِمُ دِينَكَ وَكَلامَ رَبِّكَ ، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، فَكُنْ قَاسِياً عَلَى تِلْكَ الْفِئَةِ مِنَ الشَّحَّاذِينَ ، بَخِيلًا بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ الصَّدَقَةِ ، وَلَا تَمُدَّ لَهُمْ يَدًا بِإِحْسَانٍ أَبَدًا ، لِيُقْلِعُوا عَنْ تِلْكَ الْعَادَةِ الْمَرْذُولَةِ ، وَبِذَلِكَ تُقَدِّمُ أَجَلَّ خِدْمَةٍ لِكِتَابِ اللهِ .

(٧) حَلَقَاتُ الذِّكْرِ

فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَذْكُرَ رَبَّهُ ، قَائِماً أَوْ قَاعِدًا ، مُنْفَرِدًا أَوْ مَعَ غَيْرِهِ ، لِيَسْتَشْعِرَ هَيْبَتَهُ ، وَيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ بِذِكْرِ اللهِ ، فَيُرَاقِبَ رَبَّهُ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ . وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ بِذِكْرِهِ فَقَالَ : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِفْيَةً ، وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)

وَلَكِنَّ بَعْضَ النَّاسِ ابْتَدَعُوا صُوَرًا وَأَشْكَالًا لِلذِّكْرِ

لَيْسَ فِيهَا أَثَرٌ لِلْخَشْيَةِ ، وَلَا مَظْهَرٌ لِلْخَوْفِ وَالْخُضُوعِ لِلَّهِ ، فَتَرَاهُمْ يَرْقُصُونَ عَلَى صَوْتِ « الْمُنْشِدِ » أَوْ عَلَى نَغَمِ الرَّبَابَةِ وَصَوْتِ الدُّفِّ وَالْمِزْمَارِ ، وَيَأْتُونَ بِحَرَكَاتٍ « بَهْلَوَانِيَّةٍ » أَشْبَهُ بِحَرَكَاتِ الْمَجَانِينِ، وَأَحْيَانًا يَصِيحُونَ صَيْحَاتٍ مُزْعِجَةً مُقْلِقَةً لِلرَّاحَةِ ، مَعَ أَنَّ اللهَ أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ . وَقَدْ يَنْطِقُ أَحَدُهُمْ بِكَلِمَاتٍ لَا مَعْنًى لَهَا فَيَعُدُّونَهَا كَرَامَةً ، وَيَضْحَكُونَ بِهَا عَلَى عُقُولِ النَّاسِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، اتَّخَذُوا اسْمَ اللهِ هُزُوًا وَلَعِبًا ، أَلَا سَاءَ مَا يَفْعَلُونَ .

وَلَوْ أَحْسَنَتِ الْحُكُومَةُ صُنْعًا، لَعَدَّتْ حَلَقَاتِ الذِّكْرِ مِنَ الْحَوَادِثِ الْمُقْلِقَةِ لِلرَّاحَةِ ، وَحَاكَمَتْ أَصْحَابَهَا ، كَمَا تُحَاكِمُ سَائِقِي السَّيَّارَاتِ ، الَّذِينَ يُزْعِجُونَ النَّاسَ بِنَفِيرِ سَيَّارَاتِهِمْ ، وَبِذَلِكَ تَقْضِي عَلَى عَادَةٍ شَوَّهَتِ الْإِسْلَامَ فِي أَعْيُنِ السُّيَّاحِ وَالْأَجَانِبِ .

(٨) الزَّارُ

خُرَافَةٌ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِ أَنَّهَا جَاءَتْ إِلَى مِصْرَ مِنَ السُّودَانِ ، بِوَسَاطَةِ الْجَوَارِى السُّودَانِيَّاتِ اللَّائِى خَدَمْنَ فِى الْبُيُوتِ الْمِصْرِيَّةِ مِنْ زَمَنٍ ، فَتِلْكَ الْبِدْعَةُ السَّيِّئَةُ مُنْتَشِرَةٌ فِى السُّودَانِ انْتِشَاراً مُرِيعاً .

تَقُومُ شَيْخَةُ الزَّارِ بِإِرْكَابِ الْمَرِيضَةِ خَرُوفاً سَمِيناً ، أَوْ جَمَلاً صَغِيراً ، وَعَلَيْهَا أَنْفَسُ الْحُلِىِّ ، وَغَالِى الثِّيَابِ وَفَاخِرِ الْمَلَابِسِ ، وَتَأْخُذُ شَيْخَةُ الزَّارِ وَصَوَاحِبُهَا فِى نَقْرِ الدُّفُوفِ ، وَتَرْتِيلِ الْأَنَاشِيدِ ، وَيُقَامُ هٰذَا الاحْتِفَالُ أَيَّاماً ، تُذْبَحُ فِيهِ الذَّبَائِحُ وَصَغِيرُ الْجِمَالِ ، وَلَوْ عَلِمْتَ أَنَّ حَفْلَةَ الزَّارِ قَدْ تَرْبُو نَفَقَاتُهَا عَلَى الْمِائَةِ جُنَيْهٍ ، لَهَالَكَ الْأَمْرُ ، وَعَلِمْتَ أَنَّ تِلْكَ الْخُرَافَةَ كَانَتْ سَبَباً فِى خَرَابِ كَثِيرٍ مِنَ الْبُيُوتِ .

فَلْتَعْلَمْ مَنْ تَظُنُّ أَنَّ عَلَيْهَا زَاراً، أَوْ بِهَا مَسًّا مِنْ شَيْطَانٍ أَوْ جِنٍّ، أَنَّهَا مُصَابَةٌ بِمَرَضٍ عَصَبِيٍّ، وَأَنَّ الطِّبَّ كَفِيلٌ بِشِفَائِهَا، وَأَنَّ نَفَقَاتِ الزَّارِ تَكْفِي لِعَرْضِهَا عَلَى أَشْهَرِ الْأَطِبَّاءِ، وَمُعَالَجَتِهَا فِي أَرْقَى الْمُسْتَشْفَيَاتِ.

(٩) حَفَلَاتُ الْأَعْرَاسِ

أَكْبَرُ مَظْهَرٍ مِنْ مَظَاهِرِ الْإِسْرَافِ عِنْدَ الْمِصْرِيِّينَ، فَتَرَى كَثِيراً مِنْ أَبَوَيِ الْعَرُوسِ يُنْفِقَانِ بَاهِظَ النَّفَقَاتِ، فَيَشْتَرِيَانِ فَاخِرَ الرِّيَاشِ وَالْأَثَاثِ، وَيُبَالِغَانِ فِي إِقَامَةِ الْوَلَائِمِ وَالْحَفَلَاتِ، وَدَعْوَةِ الْعُظَمَاءِ وَالْوُجَهَاءِ، وَإِحْضَارِ أَشْهَرِ الْمُغَنِّينَ وَالْمُغَنِّيَاتِ، حَتَّى يَضْطَرَّا إِلَى الِاسْتِدَانَةِ، وَيَبِيعَا مَا هُمَا فِي أَشَدِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، أَوْ يَطْلُبَا مِنَ الزَّوْجِ مَهْرًا كَبِيرًا. كُلُّ ذَلِكَ يُعْمَلُ حُبًّا فِي التَّفَاخُرِ، وَالظُّهُورِ الْكَاذِبِ بِمَظْهَرِ الْغِنَى وَالْوَجَاهَةِ، وَكَانَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ أَنْ

أَحْجَمَ الشُّبَّانُ عَنِ الزَّوَاجِ ، وَافْتَقَرَتْ بُيُوتٌ فِي حَفَلاتِ الْأَفْرَاحِ .

(١٠) الْغُلُوُّ فِي الْأَزْيَاءِ

ابْتُلِيَ الْمِصْرِيُّونَ رِجَالاً وَنِسَاءً بِتَقْلِيدِ الْغَرْبِيِّينَ فِي عَادَاتِهِمْ ، وَخَاصَّةً السَّيِّئَةَ مِنْهَا ، وَغَالَى السَّيِّدَاتُ الْمِصْرِيَّاتُ فِي التَّقْلِيدِ ، وَتَجَاوَزْنَ كُلَّ حَدٍّ ، فَلَبِسَ الثِّيَابَ الضَّيِّقَةَ الْقَصِيرَةَ ، وَقَصَصْنَ شُعُورَهُنَّ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ جَمَالاً لَهُنَّ ، وَمَسَخْنَ وُجُوهَهُنَّ بِأَلْوَانِ الْأَصْبِغَةِ وَمُخْتَلِفِ الْمَسَاحِيقِ ، غَيْرَ حَافِلَاتٍ بِأَضْرَارِهَا ، وَمَا تُسَبِّبُهُ مِنْ تَجَعُّدِ الْبَشَرَةِ وَأَمْرَاضِ الْجِلْدِ ، وَسِرْنَ فِي الشَّوَارِعِ سَافِرَاتٍ مُتَبَخْتِرَاتٍ ، وَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ، وَبِذَلِكَ ازْدَادَتْ نَفَقَاتُهُنَّ ، وَأَصْبَحَ الْآبَاءُ وَالْأَزْوَاجُ غَيْرَ قَادِرِينَ

عَلَى الْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ هَذِهِ النَّفَقَاتِ ، وَلَيْتَ الْخَطْبَ وَقَفَ عِنْدَ الْنِسَاءِ وَالْبَنَاتِ فِى ذَلِكَ ، بَلْ إِنَّ أَكْثَرَ الشُّبَّانِ يُغَالِى فِى اخْتِيَارِ اللِّبَاسِ وَأَنْوَاعِ الْحُلِىِّ ، وَحَلْقِ الشَّارِبِ وَاللِّحْيَةِ ، حَتَّى يَشُكَّ مَنْ رَآهُ فِى أَنَّهُ رَجُلٌ ، وَأَنَّهُ خُلِقَ لِلْعَمَلِ وَالْكِفَاحِ فِى هَذِهِ الْحَيَاةِ .

فَالْبَسْ أَيُّهَا الْوَلَدُ النَّجِيبُ مِنَ اللِّبَاسِ مَا يَحْفَظُ جِسْمَكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ ، وَاجْتَهِدْ فِى أَنْ يَكُونَ نَظِيفاً بَسِيطاً ، فَالرِّجَالُ بِالْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ ، لَا بِالْحِلْيَةِ وَاللِّبَاسِ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ
فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ



القسم الثالث

العبادات

(١) الزَّكَاةُ

هِىَ تَمْلِيكُ جُزْءٍ مَخْصُوصٍ ، مِنْ مَالٍ مَخْصُوصٍ ، لِشَخْصٍ مَخْصُوصٍ

وَهِىَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ الْخَمْسَةِ ، وَحَقٌّ وَاجِبٌ لِلْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ ، وَتَجِبُ عَلَى كلِّ مُسْلِمٍ حُرٍّ بَالِغٍ عَاقِلٍ ، مَالِكٍ لِلنِّصَابِ الْمُعَيَّنِ ، وَهِىَ عَلَى أَنْوَاعٍ : مِنْهَا زَكَاةُ النَّقْدَيْنِ ، وَزَكَاةُ التِّجَارَةِ ، وَزَكَاةُ الْمَاشِيَةِ ، وَزَكَاةُ الزَّرْعِ ، وَزَكَاةُ الْفِطْرِ ، وَهِىَ الَّتِى قُرِّرَتْ دِرَاسَتُهَا عَلَيْنَا .

زَكَاةُ الْفِطْر

هِىَ إِخْرَاجُ نِصْفِ صَاعٍ مِنْ بُرٍّ أَوْ دَقِيقٍ أَوْ زَبِيبٍ ، أَوْ صَاعٍ مِنْ تَمْرٍ أَوْ شَعِيرٍ . وَالصَّاعُ بِالْكَيْلِ الْمِصْرِىِّ قَدَحَانِ ، وَيَزِنُ نَحْوَ ثَمَانِيَةِ أَرْطَالٍ .

وَتَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ قَادِرٍ عَلَى قُوتِهِ ، وَقُوتِ عِيَالِهِ مَالِكٍ لِنِصَابٍ يَفْضُلُ عَنْ مَسْكَنِهِ وَعَبْدِهِ وَفَرَسِهِ وَسِلَاحِهِ ، وَيُخْرِجُهَا الْمُسْلِمُ عَنْ نَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ الصِّغَارِ ، وَعَبِيدِهِ لِلْخِدْمَةِ وَلَوْ كَانُوا هُوداً ، أَوْ نَصَارَى ، أَوْ مَجُوساً .

وَتُصْرَفُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَاءِ السَّبِيلِ وَبَقِيَّةِ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِى ذَكَرَهَا اللهُ فِى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ



حِكْمَةُ الزَّكَاةِ

لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كُلِّ مَاشَرَعَهُ لَنَا ، وَفَرَضَهُ عَلَيْنَا ، حِكَمٌ عَظِيمَةٌ ، وَأَسْرَارٌ جَلِيلَةٌ ، وَمَنَافِعُ جَمَّةٌ ، تَعُودُ عَلَيْنَا بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ ، وَتَكُونُ سَبَبَ صَلَاحِنَا ، وَتَنْظِيمِ أَحْوَالِنَا ، وَنَشْرِ الْأَمْنِ بَيْنَنَا ، إِنِ اتَّبَعْنَاهَا ، وَسِرْنَا عَلَى مُقْتَضَاهَا ، وَقَدْ فَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْنَا الزَّكَاةَ لِلْأَسْرَارِ وَالْفَوَائِدِ الْآتِيَةِ :

(١) تُطَهِّرُ النُّفُوسَ مِنْ رَذِيلَةِ الْبُخْلِ ، وَتُحَلِّيهَا بِصِفَةِ الْجُودِ وَالْكَرَمِ

(٢) دَاعِيَةُ الشَّفَقَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ بِسَدِّ عَوَزِهِمْ ، وَتَنْفِيسِ كُرُبَاتِهِمْ ، وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ

(٣) تَرْبِطُ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ ، وَتَجْعَلُ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أُسْرَةً وَاحِدَةً ، رُؤَسَاؤُهَا الْأَغْنِيَاءُ ، وَأَطْفَالُهَا الْفُقَرَاءُ .

(٤) تمنعُ التَّسوُّلَ وحوادثَ النَّهبِ والسَّرقةِ والقتلِ، لأنَّ الفقيرَ إذا لم يجدْ مايَسُدُّ حاجتَهُ، فكَّرَ في تحصيلِ قوتِهِ مِنْ أيِّ طريقٍ، فينهبُ الغنيَّ، أوْ يقتُلُهُ ويستولي على مالِهِ.

(٥) تُنمِّي المالَ وتُطهِّرُهُ، وتُظهِرُ مقدارَ محبَّةِ الإنسانِ لربِّهِ، وتجعلُ اللهَ سبحانَهُ وتعالَى يُضاعِفُ للمزكِّي ما أنفقَهُ.

(٢) الحجُّ

تعريف

هوَ زيارةُ أمكنةٍ مخصوصةٍ، في زمنٍ مخصوصٍ، بأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصةٍ.

وقدْ فُرِضَ مرَّةً واحدةً في العُمْرِ، علَى كلِّ مُسلِمٍ حُرٍّ بالغٍ عاقلٍ صحيحٍ، قادرٍ علَى نفقةِ ذهابِهِ وإيابِهِ ونفقةِ عيالِهِ مُدَّةَ السَّفرِ، وبعدَ عودتِهِ بوقتٍ

يُمْكِنُهُ أَنْ يَكْتَسِبَ فِيهِ ، بِشَرْطِ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النَّفَقَاتُ فَاضِلَةً عَنْ دُيُونِهِ ، وَعَنْ رَأْسِ مَالِهِ إِنْ كَانَ تَاجِراً أَوْ صَاحِبَ حِرْفَةٍ ، وَأَنْ يَكُونَ الطَّرِيقُ آمِناً لَا خَوْفَ فِيهِ .

وقته

وَقْتُ الْحَجِّ يَبْتَدِئُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ ، إِلَى فَجْرِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ، أَيْ أَنَّ وَقْتَهُ شَوَّالٌ وَذُو الْقِعْدَةِ ، وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ .

أركانه

أَرْكَانُ الْحَجِّ ثَلَاثَةٌ : الْإِحْرَامُ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، وَطَوَافُ الْإِفَاضَةِ .

شروطه

شُرُوطُ الْحَجِّ : الْبَدْءُ بِالطَّوَافِ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ.

وَكَوْنُ الطَّوَافِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ مِنْ وَرَاءِ الْحِجْرِ ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ بَعْدَ الطَّوَافِ ، وَالْبَدْءُ بِالسَّعْيِ مِنَ الصَّفَا ، وَسَتْرُ الْعَوْرَةِ ، وَالطَّهَارَةُ .

واجباته

وَاجِبَاتُ الْحَجِّ : الْإِحْرَامُ مِنَ الْمِيقَاتِ ، وَالْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ لَيْلاً ، وَالْوُقُوفُ بِالْمُزْدَلِفَةِ ، وَالْمَبِيتُ بِمِنًى لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ ، وَرَمْيُ الْجَمَرَاتِ ، وَطَوَافُ الْوَدَاعِ لِغَيْرِ أَهْلِ الْحَرَمِ .

وَيَبْطُلُ الْحَجُّ إِذَا تَرَكَ الشَّخْصُ رُكْناً مِنْ أَرْكَانِهِ ، أَوْ شَرْطاً مِنْ شُرُوطِهِ ، عَمْداً أَمْ سَهْواً . أَمَّا إِذَا تَرَكَ شَيْئاً مِنَ الْوَاجِبَاتِ فَلَا يَبْطُلُ حَجُّهُ ، وَعَلَيْهِ الْفِدْيَةُ عَنْ كُلِّ وَاجِبٍ تَرَكَهُ .

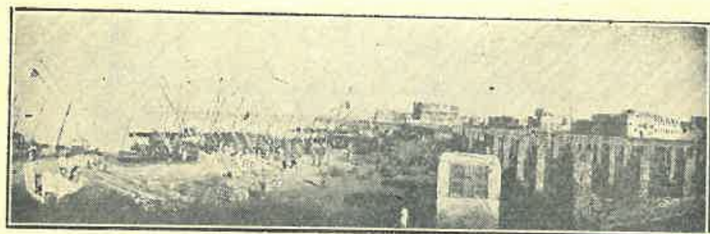
كَيْفَ يَحُجُّ الْمَصْرِى ؟



(طريق الحج من مصر إلى الحجاز)

يَرْكَبُ الْحَاجُّ الْمِصْرِىُّ قِطَارَ السِّكَّةِ الْحَدِيدِ، مِنْ بَلَدِهِ إِلَى « السُّوَيْسِ » وَهُنَاكَ يَرْكَبُ الْبَاخِرَةَ الَّتِى

تَنْقُلُ الْحُجَّاجَ الْمِصْرِيِّينَ إِلَى الْأَقْطَارِ الْحِجَازِيَّةِ ، فَمَتَى وَصَلَتْ بِهِ الْبَاخِرَةُ إِلَى مَحَلِّ إِحْرَامِهِ وَهُوَ « الْجُحْفَةُ » وَمَكَانُهُ الْآنَ « رَابِغُ » عَلَى الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ، تَوَضَّأَ أَوِ اغْتَسَلَ ، وَتَجَرَّدَ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَلَبِسَ إِزَاراً وَرِدَاءً جَدِيدَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ ، وَيُلَبِّي نَاوِياً الْحَجَّ ، قَائِلاً «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ ، لَاشَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ ، وَالْمُلْكَ لَاشَرِيكَ لَكَ » وَبَعْدَ ذَلِكَ يَصِيرُ مُحْرِماً ، فَيَحْرُمُ عَلَيْهِ صَيْدُ الْبَرِّ ، وَسَتْرُ الرَّأْسِ ، وَلُبْسُ الْمَلَابِسِ الْمُعْتَادَةِ ، وَقَصُّ الْأَظَافِرِ ، وَإِزَالَةُ الشَّعْرِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَسِيرُ بِهِ الْبَاخِرَةُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى مِينَاءِ « جُدَّةَ »



(ميناء جده)

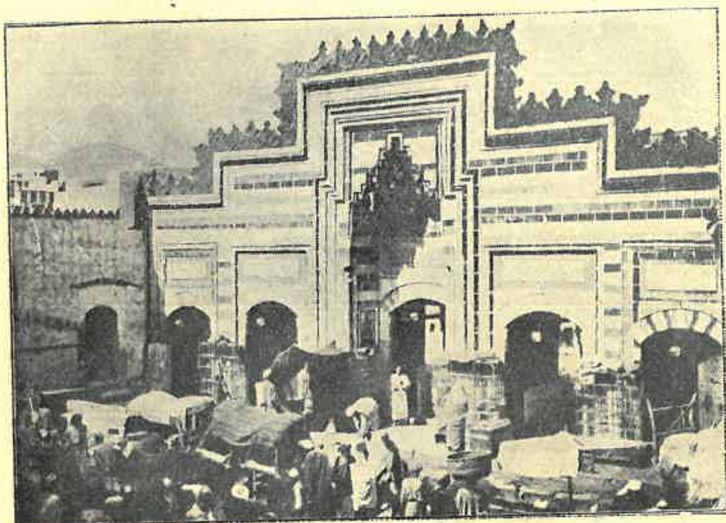
وَمِنْهَا يَرْكَبُ السَّيَّارَاتِ أَوِ الْجِمَالَ ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى مَكَّةَ ، فَيَدْخُلُهَا مُلَبِّيًا ، وَبَعْدَ اطْمِئْنَانِهِ عَلَى أَمْتِعَتِهِ ، يَقْصِدُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَيَدْخُلُهُ مِنْ بَابِ السَّلَامِ ، فِي شَرْقِيِّ الْمَسْجِدِ .



(الحجاج يطوفون بالكعبة) (*)

(*) مناظر الحج فى هذا الكتاب منقولة عن كتاب الرحلة الحجازية

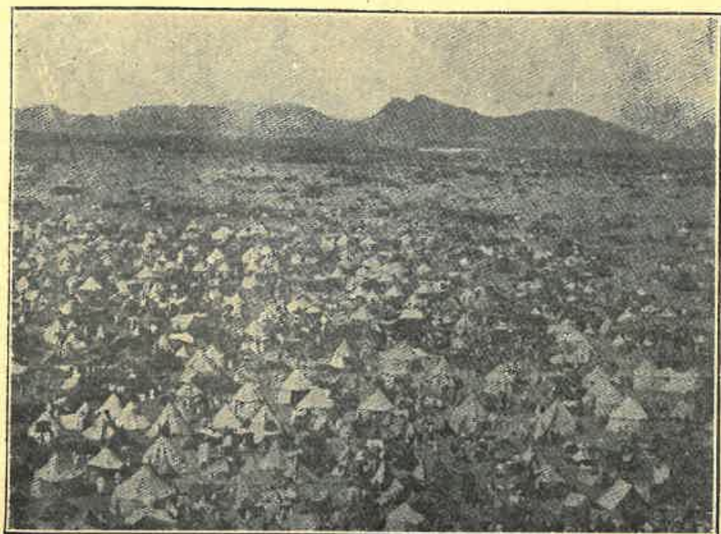
فَإِذَا مَا رَأَى الْبَيْتَ كَبَّرَ وَهَلَّلَ ثَلَاثًا ، ثُمَّ يَبْدَأُ بِطَوَافِ الْقُدُومِ ، فَيُقَبِّلُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ إِنِ اسْتَطَاعَ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُؤْذِيَ أَحَدًا ، ثُمَّ يَطُوفُ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، وَكُلَّمَا مَرَّ بِالْحَجَرِ اسْتَلَمَهُ ، أَوْ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ وَقَبَّلَهُ ، وَيَخْتِمُ طَوَافَهُ بِهِ ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهُوَ يَقَعُ شَرْقِيَّ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ يَشْرَبُ مِنْ مَاءِ « زَمْزَمَ » وَبَعْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ مِنْ بَابِ الصَّفَا الْوَاقِعِ فِي جَنُوبِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، لِيَسْعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ « وَهُمَا جَبَلَانِ فِي جَنُوبِ الْحَرَمِ بَيْنَهُمَا نَحْوُ ٤٠٠ متر » فَيَبْدَأُ بِالصَّفَا ، وَيَصْعَدُ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَقْبِلُ الْبَيْتَ مُكَبِّرًا مُهَلِّلًا ، مُصَلِّيًا عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، ثُمَّ يَهْبِطُ مِنَ الصَّفَا مَاشِيًا نَحْوَ الْمَرْوَةِ ، مُهَرْوِلًا « مُسْرِعًا يُحَرِّكُ يَدَيْهِ بِجَانِبَيْهِ » بَيْنَ الْمِيلَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ « وَهُمَا عَمُودَانِ بَيْنَهُمَا مَسَافَةُ سَبْعِينَ مِتْرًا » وَيَسْعَى بَيْنَهُمَا سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، يَبْدَأُ بِالصَّفَا وَيَخْتِمُ بِالْمَرْوَةِ



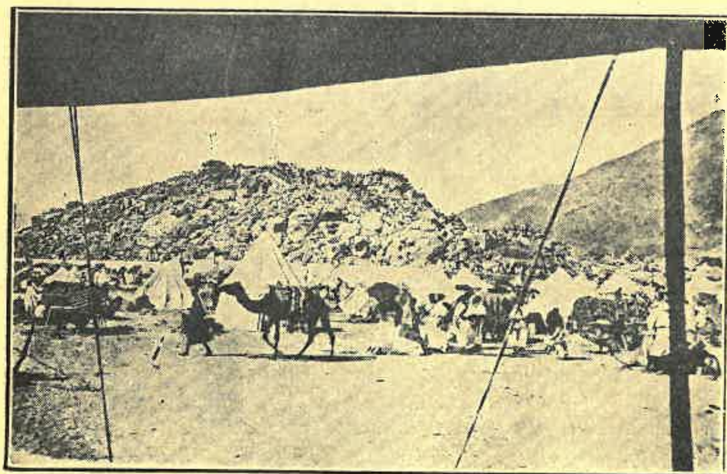
(باب الصفا بالحرم المكى)

ثُمَّ يَمْكُثُ الْحَاجُّ بِمَكَّةَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ ذِى الْحِجَّةِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ كُلَّمَا أَرَادَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْعَى، فَإِذَا جَاءَ الْيَوْمُ الثَّامِنُ وَهُوَ يَوْمُ « التَّرْوِيَةِ » تَوَجَّهَ إِلَى « عَرَفَةَ » فَبَاتَ بِهَا، وَقَضَى يَوْمَ التَّاسِعِ وَجُزْءًا مِنْ لَيْلَةِ الْعَاشِرِ فِيهَا،

وَيَقِفُ عَلَى جَبَلِ عَرَفَاتٍ بَعْدَ ظُهْرِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ حَتَّى الْغُرُوبِ

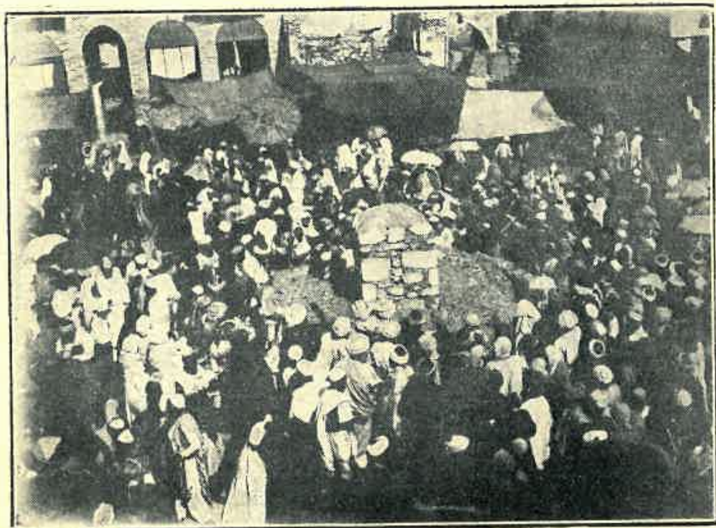


(الحجاج فى ميدان عرفات قبل الوقوف)



(الحجاج على جبل عرفات)

وَبَعْدَ الْغُرُوبِ يَذْهَبُ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ ، فَيَصِلُ إِلَيْهَا بَعْدَ الْعِشَاءِ ، فَيَبِيتُ بِهَا لَيْلَةَ الْعَاشِرِ ، وَقَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَقِفُ بِالْمُزْدَلِفَةِ إِلَى أَنْ يُسْفِرَ الْفَجْرُ ، فَيَذْهَبُ إِلَى مِنًى لِرَمْيِ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ ، وَبَعْدَ الرَّمْيِ يَرْجِعُ إِلَى رَحْلِهِ ، وَيَذْبَحُ شَاةً يُوَزِّعُ لَحْمَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ ، وَيَحْلِقُ شَعْرَهُ أَوْ يُقَصِّرُ ، وَبَعْدَ الْحَلْقِ أَوْ التَّقْصِيرِ يَحِلُّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ . ثُمَّ يَتَوَجَّهُ فِي يَوْمِهِ إِلَى مَكَّةَ ، فَيَطُوفُ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ (وَيُسَمَّى طَوَافَ الزِّيَارَةِ) ، وَيَكُونُ بِسَبْعَةِ أَشْوَاطٍ ، وَبَعْدَ الطَّوَافِ يَرْجِعُ إِلَى مِنًى لِلْمَبِيتِ فِيهَا لَيْلَةَ الْيَوْمِ الْحَادِي عَشَرَ ، وَبَعْدَ الظُّهْرِ يَرْمِي الْجَمَرَاتِ الثَّلَاثَ ، وَيَبِيتُ بِمِنًى لَيْلَةَ الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ ، وَيَرْمِي الْجَمَرَاتِ الثَّلَاثَ بَعْدَ الزَّوَالِ أَيْضاً ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ ، فَإِنْ أَقَامَ بِمِنًى حَتَّى طَلَعَ فَجْرُ الْيَوْمِ الثَّالِثَ عَشَرَ وَجَبَ عَلَيْهِ رَمْيُ الْجَمَرَاتِ الثَّلَاثِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضاً



(الحجاج يرمون الجمرة الوسطى)

وَبعَوْدَتِهِ مِنْ مِنًى إِلَى مَكَّةَ تَنْتَهِى أَعْمَالُ الْحَجِّ . وَيُقِيمُ الْحُجَّاجُ فِى مَكَّةَ أَيَّاماً يُصْلِحُونَ فِيهَا شُؤُونَهُمْ ، ثُمَّ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ طَوَافَ الْوَدَاعِ وَيَنْصَرِفُونَ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى بِلَادِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْحَلُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لِزِيَارَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِىِّ ، وَقَبْرِ رَسُولِ اللهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، لِأَنَّ زِيَارَتَهُ مَطْلُوبَةٌ ، وَمَنْ زَارَ قَبْرَ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .



(الحرم النبوى والحجرة الشريفة)

وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ يَرْحَلُ إِلَى « يَنْبَعَ » فَيَرْكَبُ مِنْهَا الْبَاخِرَةَ إِلَى الطُّورِ وَيَقْضِي مُدَّةَ الْحَجْرِ الصِّحِّيِّ هُنَاكَ، ثُمَّ يَرْكَبُ الْبَاخِرَةَ إِلَى السُّوَيْسِ، ثُمَّ إِلَى بَلَدِهِ .

حِكْمَةُ الْحَجِّ

فَرَضَ اللهُ الْحَجَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَسْرَارِ الْعَظِيمَةِ، وَالْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ. فَمِنْ فَوَائِدِ الْحَجِّ مَا يَأْتِى:

(١) الْحَجُّ اجْتِمَاعٌ عَامٌّ لِلْمُسْلِمِينَ كُلَّ عَامٍ، يَأْتُونَ إِلَيْهِ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارِ، فَيَتَعَارَفُونَ وَيَتَوَادَدُونَ، وَيَتَبَادَلُونَ الْأَفْكَارَ وَالْمَنَافِعَ، وَيَطَّلِعُ بَعْضُهُمْ عَلَى مَاعِنْدَ الْبَعْضِ الْآخَرِ مِنْ عِلْمٍ وَفَنٍّ، فَتَتَوَحَّدُ كَلِمَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَيَصِيرُونَ كَالْجِسْمِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَأَلَّمَ لَهُ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ.

(٢) الْحَجُّ سُوقٌ جَامِعٌ وَمَعْرِضٌ عَامٌّ لِلتِّجَارَةِ وَالصِّنَاعَةِ، فَيَتَعَرَّفُ كُلُّ قُطْرٍ مَاعِنْدَ الْآخَرِ، وَبِذَلِكَ تَرُوجُ التِّجَارَةُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

(٣) الْحَجُّ احْتِفَالٌ سَنَوِيٌّ بِذِكْرَى تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ

الْإِسْلَامِيَّةَ الْكُبْرَى عَلَى يَدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِيهِ إِحْيَاءٌ لِمَوَاقِفَ تَارِيخِيَّةٍ جَلِيلَةٍ .

(٤) فِي خُرُوجِ الْحَاجِّ مِنْ بَلَدِهِ ، وَاغْتِرَابِهِ عَنْ بَنِيهِ وَأَهْلِهِ خَاشِعاً عَارِياً ، مُتَزَوِّدًا لِسَفَرِهِ ، تَذْكِيرٌ لَهُ بِيَوْمِ مَوْتِهِ ، يَوْمَ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَا زَادَ مَعَهُ لِلْآخِرَةِ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ .

(٥) فِي وُقُوفِ الْمُسْلِمِينَ عُرَاةَ الْأَجْسَامِ فِي عَرَفَةَ وَغَيْرِهَا ، لَا فَرْقَ بَيْنَ أَمِيرٍ وَحَقِيرٍ ، وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، بَثٌّ لِرُوحِ الْمُسَاوَاةِ وَالتَّوَاضُعِ بَيْنَهُمْ .

(٦) الْحَجُّ دَرْسٌ عَمَلِيٌّ فِي الصَّبْرِ ، وَتَحَمُّلِ الْمَشَاقِّ ، فَيَتَعَوَّدُ الْمُسْلِمُونَ الصَّبْرَ عَلَى الْمَكَارِهِ .

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْحَجُّ جَلِيلُ الْفَوَائِدِ ، عَظِيمُ النَّفْعِ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَقَدْ حَاكَاهُ الْغَرْبِيُّونَ فَكَوَّنُوا « جَمْعِيَّةَ الْأُمَمِ » عَلَى نِظَامِهِ ، يَحُجُّونَ إِلَيْهَا فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ كُلَّمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ .

فَعَسَى أَنْ يَسْتَفِيدَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْحَجِّ ، وَيَجْعَلُوا مَكَّةَ مَكَانَ عُصْبَتِهِمْ ، كَمَا جُعِلَتْ قِبْلَتَهُمْ فِى الصَّلَاةِ ، وَيُكَوِّنُوا عُصْبَةً شَرْقِيَّةً ، تَقِفُ سَدًّا أَمَامَ الْمَطَامِعِ الْأُورُبِّيَّةِ .

وَفَّقَ اللهُ الشَّرْقَ إِلَى جَمْعِ الْكَلِمَةِ ، وَتَوْحِيدِ الصُّفُوفِ ، وَهَيَّأَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ رَشَدًا

﴿ تَمَّ الْجُزْءُ الرَّابِعُ وَالْحَمْدُ لِلهِ أَوَّلاً وَآخِرًا ﴾

الفهـــرس

